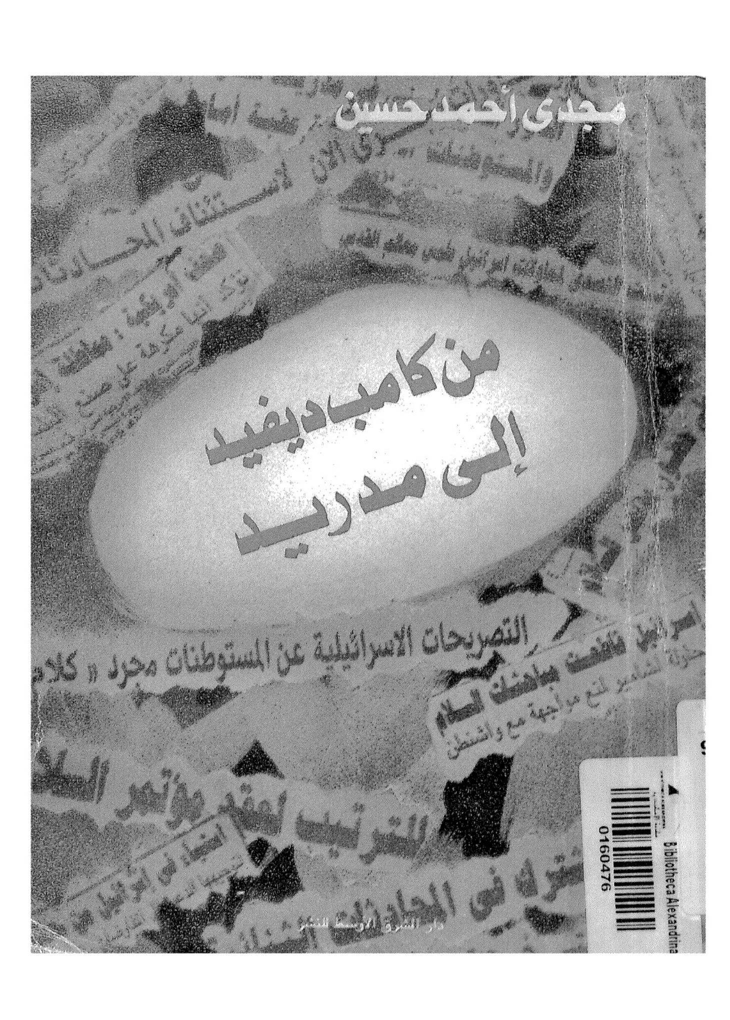


مجدى أحمد حسين
من كامب ديفيد
إلى مدريد
التصريحات الاسرائيلية عن المستوطنات مجرد « كلام

مجدى أحمد حسين

# من كامب ديفيد إلى مدريد

دار الشرق الأوسط للنشر

# الطريق من كامب ديفيد إلى مدريد

كان السيد الأمريكـى قد وعد خلال أزمة الخليج.. وحـرب تدمير العراق والكويت.. وعد بأن يعطى عنايتـه السنية للقضية الفلسطينية المذبوحة منذ عـام ١٩٤٨.. وبـأن يعير بعض الالتفـات لكـومـة قرارات مجلـس الأمـن والجمعية العامة للأمم المتحدة.. التى أدانت إسرائيل لاستمرارها فى احتلال وضـم الأراضى.. التـى سيطرت عليهـا خلال حـرب ١٩٦٧. وعد السيـد الأمريكى بأن يحل القضية الفلسطينية فـور الانتهاء من «تحرير» الكويت.. أى أنه طرح الموالاة أو التتابع بديلاً عن الـربط الذى اقترحه العراق، متغافلاً عن حقيقة أن التتـابع لو كان مخلصـاً حقاً لكان البدء بـالقضية الفلسطينية التى غمرتها أمواج النسيان.. منذ قرابة ربع قرن.. ولكانت قد حُلت بالفعل..

.. على أى حال.. فمـن موقع القوة قـررت الولايات المتحدة.. مـا قررت.. ولكن المجرم عنـدما يرتكب جريمتـه يظل قلقاً.. ويود أن يبـذل أقصى جهد لتغطيتها، فبدأت الـولايات المتحدة تخشى على «مصداقية» مـواقفها فى نظر الشعوب العربية والإسلامية.. ولما بدأ العام الأول عقب حرب تدمير العراق.. ينصرم.. بذلت الـولايات المتحدة كل جهـودها لعقد مؤتمر مـدريد.. لتبرهن على صدق وعدها بحل القضية الفلسطينية.. حتـى ولو جاءت البداية ببعض الخطب التـذكاريـة.. التى تـؤكد على المواقـف المعلنة والمعـروفة لـلأطراف المشاركة.

وإذا كانـت مشكلة الكـويت قـد حلت فى ستـة شـهور.. فـإن الوعـد بحل القضيـة الفلسطينية.. أسفـر بعد ١٥ شـهـراً عـن لقاء احتفـالى فى مدريـد.. والقضية الفلسطينيـة عمرها أكثـر من أربعين عـاماً.. وهى ليسـت مشكلة صعبة للحل بهذا الحد.. إلا أن القـوى الغربية المسيطرة على العـالم.. هى فى حقيقة الأمر حليفة إسرائيل.. وتجمعها معها مصالح اسـتراتيجية كبرى.. بل ويمكن القـول أن اسرائيل هى الاختراق الاستيطـانى للحضـارة الغـربية فى الأرض العربية الإسلامية.. فما الفكر اليهودى الصهيـونى الذى قامت عليه دولة اسرائيل إلا أحد فروع البناء الفكرى للحضارة الغربية.. ووليد التزاوج بين عقائد اليهود.. والبروتستانت.. التى يجمعها تفسير واحد لكثير مما ورد فى النسـخة المتوفرة من التوراة والإنجيل (الكتاب المقدس).

.. وحتى الفرع الماركسي للحضارة الغربية.. الذى سقط مؤخّراً.. فقد كان من مؤيدى دولة اسرائيل.. ومن المسارعين إلى تأييد عملية نشأتها الاستعمارية الاستيطانية.. أما التحالف بين المعسكر العربي والمعسكر الشيوعى «سابقاً» فقد كان تحالفاً سياسياً ضد الولايات المتحدة أساساً.. ثم ضد عدوان ١٩٦٧ وما نجم عنه من احتلالات واسعة.. ثم ضد دور اسرائيل النشط فى الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفيتى.

ان اسرائيل هى وليدة الحضارة الغربية.. وان قبح هذه «الوليدة».. ليكشف زيف المساحيق التى تحاول الأم « الحضارة الغربية» أن تجمل بها وجهها..

وهكذا فان الحديث الغربى والأمريكى عن حل القضية الفلسطينية هو الرياء بعينه.. والنفاق فى واحد من أنقى صوره.. فالأمريكيون والغربيون يحلمون بازالة فلسطين من الوجود.. باعتباره الحل الناجع «للقضية الفلسطينية»!!

فاسرائيل هى الحليف الذى يمكن الركون إليه.. ضد أى نزعات تحرريّة عربية.. وبالأخص ضد المدّ الإسلامى الراهن.. وهذا ما يحفظ لاسرائيل أهميتها الاستراتيجية على خلاف ما يروج عن أن اسرائيل قد فقدت أهميتها للولايات المتحدة بعد سقوط المعسكر الاشتراكى..

وإذا كانت الولايات المتحدة قد اعتمدت أساساً على نفسها وجيشها فى أزمة الخليج.. فان هذا لا يعنى أن ذلك هو الشكل الأمثل والدائم للتعامل مع مختلف الأزمات المتوقعة فى المنطقة.. فلا شك أن لاسرائيل أدوارها المحددة والمعلومة والقابلة للتوسع فى المنطقة.. الحد الأدنى لهذا الدور هو أن يكون لها اليد العليا فى المنطقة المحيطة بها حتى العراق شرقاً وحتى مصر جنوباً وغرباً.. وأن تكون مستعدة لتأديب أى قوة أو نظام لا يخضع للطاعة الاسرائيلية.. الأمريكية..

وبناء على ذلك فان الولايات المتحدة يجمعها باسرائيل اتفاق عسكرى استراتيجي لا نظير له حتى مع أعضاء الحلف الأطلنطى من الأوروبيين.

وفى إطار هذه الوحدة الفكرية والسياسية والعسكرية الاستراتيجية.. التى تجمع اسرائيل والمعسكر الغربى وعلى رأسه الولايات المتحدة.. فمن أين يأتى وجه التعاطف مع القضية الفلسطينية؟! لا يوجد أى تعاطف أو

مصلحة مشتركة بين الغرب والشعب الفلسطينى.. فالشعب الفلسطينى وتشريده كان هو الضريبة الإجبارية لنشأة هذا الكيان «العبقرى» اسرائيل.. كحصن استيطانى للغرب فى قلب جسد الأمة العربية الإسلامية.. أشبه بحصون الصليبيين التى انتشرت فى شكل قلاع.. ومدن محصنة فى بلاد المشرق.. والقدس فى المقدمة من تلك البقاع.

ان المقاومة الفلسطينية المسلحة والحروب التى شنتها اسرائيل فى أغلب الأحيان.. هى التى احتفظت بجذوة القضية الفلسطينية مشتعلة.. وفرضتها على الرأى العام العالمى والمحافل الدولية. ثم قامت الانتفاضة الفلسطينية الباسلة لتتولى حمل المشعل منذ أربع سنوات.. فى تجديد خلاق ومبتكر للمقاومة الشعبية.... وأصبحت وسائل العصيان المدنى.. أكثر إيلاماً لاسرائيل من الجيوش النظامية.. فقد ضربت اسرائيل فى أحشائها ومن الداخل بعد أن تصورت أنها ضربت المقاومة فى لبنان.. وضمنت سكون الجبهات فى مصر وسوريا والأردن..

انه نفس قانون الشعوب التى لا تُقهر يواصل عمله وفعله.. رغم أنف الطغاة والمتجبرين.. ولولا هذه الانتفاضة العظيمة.. لما تحركت الإدارة الأمريكية قيد أنملة.

ويتصور الرئيس الأمريكى.. وهو فى ذروة عنجهيته وغروره.. أن له شعبية فى بلاد العرب والمسلمين والعالم بأسره.. وأن أمامه فرصة العمر لحل المشكلة الأزلية «القضية الفلسطينية» كى يصل إلى ذروة المجد.. وهو الحل الذى يؤمن السيطرة الأمريكية على المنطقة ويضرب ويحطم كل النّتوءات التى تعترض مجرى هذه السيطرة الأمريكية. وهو فى غياب المعسكر المنافس يتصور أنه يستطيع أن يحصل على أى شىء.. دون أن يقدم أى مقابل.. ولكن هيهات.. فهذا ضد منطق الأشياء.. والتاريخ..

فى ضوء هذه الخلفية نقترب من مدريد.. لنفحص الدوافع لعقد المؤتمر وماذا جرى حتى الآن؟ وماذا تحقق؟ وماذا يراد بأمتنا خلال المرحلة القادمة؟ ولكن السؤال الأول الذى يطرح نفسه هو: هل كان الذهاب لمؤتمر مدريد إنتصاراً لخط كامب ديفيد؟! وأن الحكومة المصرية كانت بعيدة النظر حين سبقت العرب فى هذا الطريق.. وأن معارضة كامب ديفيد لم تعن سوى تضييع لحوالى أربعة عشر عاماً كان يمكن فى بدايتها حل المشكلات العربية

الناجمة عن احتلال الأراضى.. وكان الفلسطينيون قد استلموا الضفة الغربية وقطاع غزة منذ عام ١٩٨٤..

أن هذا الطرح الذى يسود إعلامنا فى مصر ويسود التصريحات الرسمية يستتبع أن نبدأ البداية الصحيحة من كامب ديفيد.. حتى نصل إلى الرؤية الصحيحة فى مدريد.

## من مبادرة القدس.. إلى كامب ديفيد

لا نريـد أن نغوص كثيراً فى أعماق التاريخ القـريب لمسيرة التسويـة وقد كتب حولها عشرات ومئات الكتب.. ولكننا نسترجـع القدر اللازم لتحليل ما يجرى الآن فى مؤتمر مدريد وما يليه من مباحثات فى واشنطن.

أن النظرة الموضوعيـة لمسيرة كامب ديلإيـد التى بدأت بزيـارة السادات للقـدس المحتلـة عـام ١٩٧٧ وحتـى الـآن.. تكشـف أن الانجـاز الملمـوس والواقعـى الوحيـد بالمعنـى الإيجابى يتمثـل فى استعادة مصر لسينـاء من الناحية الإدارية.. ويرد مناصرو «كامب ديلإيد» من كتبة الحكومة فيقولون وهل هذا بـالشىء القليل؟! بالطبـع ليس بالأمر القليـل. ولاشك أن مصر قد أخذت شيئاً مـن صفقة كامب ديـلإيد.. (وهو استعادة سينـاء).. والقضية دائماً تكون مـا هو الثمـن الباهـظ الذى تعينّ على مصر أن تـدفعه ومـازالت تدفعه وفقاً لهذه الصفقة.. ولاشك أن مناقشة هذا الأمر عام ١٩٩١ يختلف عن عـام ١٩٧٧ لأن سيناء عـادت بالفعـل لمصر وليس هـدف المناقشـة أن نطالب الآن بإعادة سيناء لاسرائيل!! الهدف من مناقشتنا الآن عام ١٩٩١.. أولاً: ألا نقدّم خبرة مصر فى كـامب ديلإيد بـاعتبارها خبرة رائدة ونـاجحة. ثانيـاً: أن نكشف القيود التـى كبّلت أيدى مصر كـى يدرك أى حاكـم وطنى ذكى ضرورة التخلص منهـا تدريجياً دون أن يفقد سينـاء. ثالثاً: أن نسترد الثمن البـاهظ الـذى دفعناه.. ويتعلـق بالسيـادة والاستقلال.. وبصـلاتنا العضوية والتاريخية بالجسد العربى – الإسلامى.

أن قصة انفراد الحاكـم المصرى (السادات) بخط التسويـة مع اسرائيل.. تعبر عـن خطة متكـاملة لحل مشكـلات مصر بعيـداً عن عمقهـا العربـى – الإسلامـى.. واعتماداً بالتحـديد على الولايـات المتحدة بمنطـق أن ٩٩٪ من أوراق اللعبة فى أيدى أمريكا.

والأمـر الذى لا جـدال فيه أن السـادات استثمـر كل عـوامل الانحـلال والضعف والملل والسأم الذى أصاب قطاعات غير قليلة من الشعب المصرى.. من قضية الصراع العـربى – الإسرائيلى.. فمنذ عام ١٩٤٨ ونحـن نتعرض لهزائم متـوالية ونخسر الأرض وتتـوسع اسرائيـل.. وحتـى نصر أكتوبـر ١٩٧٣.. تحول إلى نصر جزىء باختراق الدلإرسوار واحتلال الضفة الغربية

للقناة والوصول إلى الكيلو ١٠١ فى طريق السويس.. وحصار الجيش الثالث فى سيناء.. فى مقابل تحرير شريط من سيناء لا يزيد عمقه عن ١٥ - ٢٠ كيلو مترا وبدون وصول قواتنا إلى الممرات الاستراتيجية فى سيناء.. بحيث ظل الإنجاز الرئيسى فى عملية العبور واسقاط خط بارليف الحصين.

ان أسلوب الحكومات المصرية والعربية المتتابعة فى إدارة الصراع مع اسرائيل أصاب الجماهير بالسأم واليأس.. وعدم رؤية نهاية واضحة له.. وبعد ثقة الجماهير عشية حرب ٥ يونيو فى امكانية اقتحام تل أبيب.. أصبح ذلك - فى وجدان الشعب - من قبيل المستحيلات.. خاصة وأن الحديث أصبح يدور حول - ولا يتعدى - إزالة آثار العدوان، والتى مازلنا نتحدث فيها حتى الآن (بعد ٢٤ عاما).

وقد استثمر الحكم فى مصر - رغم مسئوليته عن ذلك - هذه الحالة ليقوم بمبادرة القدس.. (زيارة السادات ١٩٧٧) حيث تصور السادات أن زيارته للكنيست سيكون لها وقع السحر.. فتقوم اسرائيل بالاعلان عن الانسحاب من معظم سيناء فوراً (خط الويش - رأس محمد) على طريقة إذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها.

والعكس هو الذى حدث، فقد «أرهق» اليهود السادات على مدار عامين.. ولم يخرج إلا بمعاهدة سلام منفردة.. كان ينفى باستمرار أنها هدفه.. ولم تستر هذا الإنفراد.. ألفاظ عمومية.. غامضة.. ومائعة.. عن الحكم الذاتى للفلسطينيين.. الذى كان فى الحقيقة تقنيناً للاحتلال الاسرائيلى (اتفاقيتا كامب ديلإيد).. وهذا أخطر ما فى صفقة كامب ديلإيد، أنها عزلت مصر عن العرب ففقدت أهم مصادر قوتها الذاتية.. وكانت القوة الوحيدة للمفاوض المصرى.. أنه يبيع ثقل ووزن مصر.. ودورها القيادى فى المنطقة.. واستقلالها السياسى والاقتصادى.. فى سبيل الحصول على الأراضى المصرية المحتلة..

وسواء أكانت هذه الخطة فى رأس الرئيس السادات.. منذ البداية أم أنه أكره عليها خلال المفاوضات القاسية بين نوفمبر ١٩٧٧ إلى مارس ١٩٧٩.. فهذا هو ما حدث بالفعْل.. وبمراجعة الوثائق الرسمية نفسها بدءاً من خطاب السادات فى الكنيست الاسرائيلى.. نجد أن كل ما طالبت به مصر عدا استعادة سيناء.. لم تستجب له اسرائيل.. ولم تضغط أمريكا على اسرائيل

لقبوله.. وهذا ما سنوضحه تفصيلاً.

## الحـــل المنفـــرد

ان اندفـاع السـادات فى التســوية المنفـردة مع اسرائيـل لم يكن مـن قبيل الذكاء الزائد.. الذى لا يتحلى به أقرانه من الحكام العرب.. ولم يكن من قبيل بُعد النظر.. بمعنى أن السادات سبق عصره!! كما يقال الآن.

الفارق الجوهرى بين السـادات – وغيره من الأطـراف العربية (سوريا – الأردن – منظمة التحـرير – لبنان) فيما يتعلق بـالتسوية مـع اسرائيل.. أن السادات تلقى وعوداً صريحة من أمريكا.. ومن اسرائيل بامكانية الانسحاب من سينـاء.. وكان هذا هــو الطعم الثمين الذى جذبـوا به السادات ومــن ثم مصر بعيداً عـن محيطها العـربى.. فى حين لم يتلق الأسـد أى وعود بـإعادة الجولان على أى صورة من الصور.. بل إمعـاناً فى التحدى والاذلال تم ضم الجولان إلى اسرائيل.. ورغم الاتصالات الدبلوماسية المباشرة وغير المباشرة .. فلم يكن لدى الملك حسين أى وعد بالانسحـاب من الضفة الغربية أو حتى أجزاء منهـا. ومن بـاب أولى لم يكن شيئـاً مطروحـاً لمنظمة التحـرير.. غير المعترف بها أصلاً مـن أمريكـا واسرائيل. بل بـالاضافة لـذلك.. تـمّ احتلال أراضى جديـدة فى جنوب لبنان.. لا يبدو أن اسرائيل تنـوى الانسحاب منها بسـهولة..

وهكذا.. فان سيناء.. كـانت هى الورقة الاسرائيلية الـرابحة لفصل مصر عن عالمهــا العربى والإسـلامى.. بما تمثـل من مركز وثقـل وقيادة.. وتأثير عسكرى وسياســى واقتصـادى. وقد رأت أمريكـا واسرائيل أن هذا الهدف الاستراتيجى يستحق أن يدفع ثمنه.. باعادة سيناء وسنتحدث فيما بعد عن عودة سينـاء منقوصـة السيـادة، ولكن لاشك أن سينـاء عادت من النـاحية الإدارية إلى مصر، وبعد جهـود مضنية لحل مشكلة طابا. وهــذا الطعم ألقى للسادات فى لقـاءات سرية بـالمغرب بين دايـان وحسن التهـامى قبـل سفر الســادات إلى اسرائيل. ولاشــك أن هــذا الوعـد حصــل عليـه السادات مــن الولايات المتحدة وطوال فترة ما بعد زيارة القدس كان الانسحاب من سيناء بـديهيـاً.. فيما عـدا (المستـوطنــات والمطـارات)، وتـم استغـلال قضيـة المستوطنـات الاسرائيلية والمطـارات فى سيناء لارهـاق أعصاب البســادات..

ودفعه فى النهاية للتخلىّ عن كل الأراضى العربية المحتلة.. فى مقابل الحصول على سيناء كاملة (من الناحية الإدارية)..

وهذه حقيقة لابد أن تقال.. لتفسير فشل الحل الشامل.. ونجاح الحل المنفرد.. فى ظل كامب ديفيد.. فلا «فهلوة» أو «ذكاء السادات» و«لا بُعد نظره» كان وراء نجاحه بينما فشل الآخرون..

وفيما يلى ملخّص التنازلات السّاداتية من نوفمبر ١٩٧٧ حتى مارس ١٩٧٩ تاريخ توقيع المعاهدة المصريّة – الاسرائيليّة:

**فى خطاب السادات أمام الكنيست الاسرائيلى قال:**

إننى لم أجىء إليكم لكى أعقد اتفاقاً منفرداً بين مصر واسرائيل.. وإنما لاتفاق سلام يقوم على:–

١) انهاء الاحتلال الاسرائيلى للأراضى العربيَة التى احتلت فى عام ١٩٦٧.

٢) تحقيق الحقوق الأساسية للشعب الفلسطينى وحقه فى تقرير المصير بما فى ذلك حقه فى إقامة دولته.

٣) حق كل دول المنطقة فى العيش فى سلام داخل حدودها الآمنة.

٤) التزام دول المنطقة بعدم الالتجاء إلى القوة وفقاً لأهداف ومبادىء ميثاق الأمم المتحدة.

٥) إنهاء حالة الحرب القائمة فى المنطقة (نوفمبر ١٩٧٧)

****

ولكى نختصر المسافات نقول ان اتفاقيتى كامب ديفيد ١٩٧٨ ثم معاهدة السلام ١٩٧٩ لم تحقق أى هدف من هذه الأهْداف الخمسة، إلا فى البند الأول بصورة جزئية (أى الانسحاب من سيناء)، وبالنسبة للبند الخامس لم يتحقق إلاّ بالنسبة لمصر، حيث لم يكتف بانهاء حالة الحرب.. وإنما دَخَلَتْ مصر فى موجة من التطبيع مع اسرائيل وعلى أساس التمثيل الدبلوماسى، والذى بدأ واحتلال سيناء مازال قائماً.

وعلى مدار قرابة ١٤ شهراً من المفاوضات تساقطت المطالب المصرية الواحد تلو الآخر، وبصورة تجيب بالنفى على سؤال: هل كان بامكان سوريا أو الأردن أو منظمة التحرير أو لبنان أن تشارك فيها؟!

وسنلتزم بالتتابع الزمنى فى عرض الوقائع التالية:

ٌ خلال الزيارة الأولى التى قام بها السادات لاسرائيل صرح موشى ديان لبطرس غالى..

(فى حدود معلوماتى فانه لا يوجد أدنى أمل فى أن ننجح فى اجتذاب الأردن والفلسطينيين إلى مائدة المفاوضات. وانه بناء على ذلك، فان على مصر أن تكون على استعداد لتوقيع اتفاق سلام معنا، حتى ولو لم يلحق بها الآخرون).

ٌ فى مؤتمر القاهرة الذى عقد فيما بعد فى ميناهاوس.. وعلى خلاف ما يردده الآن بعض المسئولين المصريين فقد كان من شروط مجرد دخول الاسرائيليين قاعة الاجتماعات أن تنزع لافتة منظمة التحرير الفلسطينية، ورفضوا كحل وسط لافتة باسم «فلسطين» وقال بن أليسار رئيس الوفد الاسرائيلى..

«إذا وضعتم هذه اللافتة على المائدة، فان الوفد الاسرائيلى لن يدخل قاعة الاجتماعات».

وبالنسبة لعلم فلسطين قال «بن أليسار» (لن يفتتح مؤتمر القاهرة حتى تتم ازالة هذا العلم الغريب) وانتهى الأمر بازالة جميع الأعلام، وازالة اللافتة الفلسطينية وبعد ذلك يقولون الآن اعتماداً على ضعف الذاكرة.. وربما اعتماداً على أن هذه الوقائع لم تنشر فى وسائل الاعلام المصرية، يقولون ان علم فلسطين كان مرفوعاً ومقعد فلسطين كان موجوداً وشاغراً لأن منظمة التحرير رفضت الدعوة!! وأضاعت على نفسها فرصة استلام الضفة الغربية وقطاع غزة ١٩٧٧، ولا يوجد استهزاء بالعقول أكثر من ذلك، أو تلاعب بوقائع التاريخ القريب أكثر من ذلك.

ٌ قال السادات لوايزمان عندما زاره الأخير فى القاهرة (انه لا يستطيع أن يقيم السلام طالما لا تزال اسرائيل تحتل الأراضى العربية وأنا أعرف ما يمكن أن يقبله الشعب المصرى، وما يمكن أن يرفضه وإذا أجبرت الشعب على قبول أمر غير منطقى فسوف يكون رد فعله عدوانياً فى المستقبل).

ولكن السادات – نتيجة ضغوط المفاوضات – سرعان ما تنازل عن كل الأراضى العربية وفى مقدمتها القدس.

وفى نفس اللقاء أكد السادات لوايزمان استعداده لتعيين سفير فى القدس.. والعلاقات الكاملة.. والتطبيع الكامل..

عقب ذلك أعلن بيجن عن مشروعه للحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة.. وهو تقريباً الذى تم الأخذ به فى اتفاقية كامب ديفيد المتعلقة بالشق الفلسطينى.

ومشروع بيجن يضع الأساس لإلحاق الضفة الغربية وغزة باسرائيل بصورة تدريجية عقب بناء أكثر من ٧٠ مستوطنة فى ذلك الوقت (بداية ١٩٧٨) ويمنح المشروع الفلسطينيين قدراً محدوداً من الحكم الذاتى. ويبقى لاسرائيل الحق فى شراء الأراضى واستيطانها فى منطقة الحكم الذاتى، ويترك المشروع لاسرائيل بمفردها السيطرة الكاملة فى مجالى الدفاع والسياسة الخارجية. أما الفلسطينيون فسيصبحون أحراراً فى اتخاذ القرارات المتعلقة بأفضل الأماكن لوضع أنابيب المجارى فى منطقة «حبرون» مثلاً، ولكنهم لن يستطيعوا أن يقيموا جيشاً، أو يرفعوا علماً، أو أن تكون لهم عملتهم الخاصة ونشيدهم القومى الخاص.

وعندما التقى بيجن مع الرئيس الأمريكى كارتر فى واشنطن ليشرح له مشروع الحكم الذاتى باعتباره «مشروع سلام»!! أكد أن القوات الاسرائيلية ستبقى فى قواعد دائمة بالضفة والقطاع، وكذلك الأمر بالنسبة للمستوطنات.

وفى الاسماعيلية وافق السادات على اجتماع اللجنة السياسية (التى تتولى الجوانب السياسية فى المفاوضات) فى القدس باعتبارها عاصمة اسرائيل!! وهو أمر لم تعتده اسرائيل حتى من أقرب حلفائها. وقد كان يمكن تفسير هذه الموافقة بأنها تمثل اعترافاً بالقدس الموحدة عاصمة لاسرائيل.

وفى لقاءات الاسماعيلية طالب السادات بمجرد اعلان مبادىء «لمساعدته» ضد جبهة الرفض العربية.. وقال لبيجن حول القضية الفلسطينية (ان من مصلحتكم أن أستمر زعيماً للعالم العربى، وأنا أستطيع أن أنهى عرفات تماماً فى بحر أسبوعين، ولكن يجب أن يكون هناك ما يمكننى أن أقدمه، وإلا فانهم سوف يرجموننى بالحجارة).

وسنرى فى النهاية ما الذى يمكن أن تقدمه اسرائيل له..

وقال بيجن (اننا على استعداد لقبول نص القرار ٢٤٢ بدون ديباجته

كمقدمة لعقد معاهدة سلام بين اسرائيل ومصر).. وذلك لأن الديباجة تنص على مبدأ عدم جواز ضم الأراضى بالحرب.. وقد ظل بيجن على موقفه حتى النهاية، ولم توضع هذه الديباجة لا فى اتفاقيتى كامب ديفيد، ولا فى المعاهدة مع مصر، حتى لا تصبح اسرائيل ملتزمة بالانسحاب من غزة والضفة الغربية والجولان وجنوب لبنان.

وطالب السادات بحق تقرير المصير للفلسطينيين حتى لا (أتهَّم بأننى قد بعت الفلسطينيين).

• وقال عصمت عبد المجيد – فى لقاء الاسماعيلية للسادات أنه إذا لم يصدر اعلان حول المسألة الفلسطينية (فان ذلك سوف يكون بمثابة اقرار بالاستسلام).

• فى يناير ١٩٧٨ وفى لقاء السادات – وايزمان بدت علامات أخرى للتراجع، حيث قال السادات:

(سوف تحصلون على سلام حقيقى، ولكننى يجب أن أستعيد جزءاً من الأراضى التى أخذتموها منا).

• وعندما ذهب ابراهيم كامل وزير الخارجية إلى اسرائيل ماذا سمع من بيجن على رؤس الأشهاد رداً على مطالبة كامل بحق تقرير المصير للفلسطينيين واعادة القدس؟.

قال بيجن: انه يريد أن (ينشىء دولة ارهابية على أبوابنا ليذبح نساءنا وأطفالنا ان العرب تمتعوا بحق المصير فى إحدى وعشرين دولة، وهم يريدون أن ينشئوا دولة جديدة بتقرير المصير، ليقضوا على مصيرنا.اننى أقولها صريحة عالية، لا لتقسيم القدس.. لا للانسحاب إلى حدود ١٩٦٧..

لا لحق تقرير المصير للارهابيين (الفلسطينيين).

وقد كان لبيجن ما أراد فى النهاية. (ويلاحظ التماثل فى المنطق والحجج مع خطاب شامير فى مؤتمر مدريد..).

• فى ٦ يناير ١٩٧٨ يعترف كارتر فى مذكراته أن الاسرائيليين يواصلون بناء المستوطنات فى الأراضى المحتلة بسرعة رغم تعهّدهم بعكس ذلك.

• فى مارس ١٩٧٨ تقوم اسرائيل بغزو كل جنوب لبنان ويكون رد السادات هو دعوة ما يسميه «صديقه» وايزمان وزير الدفاع الاسرائيلى إلى

القاهرة بينما تجتمع جامعة الدول العربية لمناقشة العدوان الاسرائيلى على جنوب لبنان.. وبدأ المسئولون الاسرائيليون يثقون فى السادات.. لرد فعله المعتدل من غزو لبنان باعتباره أول علامة ذات دلالة على حدوث تغير حقيقى فى نظرة مصر إلى العالم العربى!!

والواقع أن هذا الغزو نجم عنه – بالاضافة لضرب قواعد منظمة التحرير – استمرار احتلال الشريط الحدودى الجنوبى فى لبنان والذى ما يزال محتلاً حتى الآن..

وفى لقاء السادات مع وايزمان.. يقول له انه شطب منظمة التحرير من قاموسه السياسى ومؤكداً معارضته لاقامة دولة فلسطينية.. ولكنه طلب من وايزمان أن يكتم هذا السر عن بيجن(!!).

كما وافق السادات على حق اليهود فى شراء أراضى بالضفة الغربية – وعلى الغاء فكرة الاستفتاء وبقاء القوات العسكرية الاسرائيلية فى الضفة وكذلك المستوطنات (!!!)

وهكذا نجد فى ظل مبادرة السادات ان الأراضى العربية المحتلة قد اتسعت مساحة.. وزادت رقعة ونطاق عمل قوات الجيش الاسرائيلى كما سيتضح أكثر فيما بعد.. ففى هذه المرة توقف الجيش الاسرائيلى عند حدود نهر الليطانى.. ولكنه بعد ذلك سيصل إلى بيروت وبغداد وتونس!!!

فى لقاء كارتر مع بيجن فى مارس ١٩٧٨.. كان كارتر لا يزال يحسن الظن فى «صلابة» الموقف الساداتى، حيث قال له (ان موافقة اسرائيل على ترتيبات أمنية فى الضفة الغربية تمثل الفرصة الوحيدة للتوصل إلى اتفاق مع مصر).. ولكن السادات خذل كارتر وتوصل إلى اتفاق مع اسرائيل.. مع ترك وضع الضفة الغربية مفتوحاً كما كان يطالب بيجن.

ولنأخذ تقييم مشروع الحكم الذاتى الاسرائيلى من أفواه المسئولين الأمريكيين – رغم أنهم انحازوا فى النهاية للصيغ المطاطة التى تخدم التفسير الاسرائيلى.

قال بريجنسكى موجهاً حديثه لبيجن وديان.. ان مقترحاتكم بخصوص الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وقطاع غزة يمكن تفسيرها على أنها تمثل تخليداً للسيطرة الاسرائيلية على المنطقة.

كارتر: «اذا لم تسمحوا لسكان الضفة الغربية أن يقرروا هويتهم فى

المستقبل، فلـن يكون هنـاك أمل فى التوصـل إلى حل سلمـى، وإذا لم تعطهم اسرائيل صوتاً فلـن تصل إلى اتفاق.. وهذا أمر حيوى إلى أقصـى حد، حتى ولو كان هدفكم هو ابرام معاهدة مع مصر فقط».

دايان: «اننا نوافق على أن نتخلى عـن السيطرة على السكان، ولكننا سوف نعارض أية صياغة تتحدث عن تخلينا عن السيطرة على الأراضى»

بيجين: ان اجراء استفتـاء فى الأراضى المحتلة يمثـل بالنسبة لنـا، تهديداً نفسياً وعضوياً أيضاً.

كارتـر: نأمل أن تستبدل اسرائيـل سيطرتها السياسية بترتيبـات أمنية، (لاحظ أن هـذا هو مفتـاح الموقف الأمـريكى مـن احتمالات التسويـة الذى مازال مستمراً حتى مـؤتمر مدريد ولكن دون ممارسة ضغـوط غير عادية على اسرائيل).

• وفى هذا الاجتماع أيضاً تم التوصل إلى ٦ لاءات اسرائيلية:-

١) لا انسحاب عسكرى أو سياسى من أى جزء من الضفة الغربية.

٢) لا توقف عن اقامة المستوطنات أو توسيعها.

٣) عدم اجلاء المستوطنات من سيناء.

٤) قرار مجلس الأمن ٢٤٢ لا ينطبق على الضفة والقطاع.

٥) لا يرغبون فى منح العرب الفلسطينيين أى سلطة حقيقية.

٦) أو الحق فى تقـريـر المصير بين الاستقـلال أو الارتبـاط بـالأردن أو اسرائيل.

وسنـرى أن هذه الـلاءات استمرت محترمـة وأقرت فى الاتفـاقيات عـدا مستوطنات سيناء.

• أعرب وايزمان لمجلس الوزراء الاسرائيلى عن تقـديره – وقد كان ثاقباً – لموقف السادات بقوله:

(ان كل ما تريده مصر هو غطاء ساتر على شكل اعلان للمبادىء)!

• فى يونيو ١٩٧٨ كتب مدير المخابرات المصرية فى رسالة إلى وايزمان..

«لقـد تركتـم الفلسطينيين دون أمل، ونحـن نشعـر بخيبة أمـل كبيرة فى الاجابات الاسرائيلية على الأسئلة الأمريكية».

• فى يوليو ١٩٧٨ التقى السادات بوايزمان وقال له: أنا أتفق معكم فى أنه لا

يجب تقسيم القدس مرة أخرى ولكنها يجب أن تدار بشكل مختلف (يقصد بصورة مشتركة)، وبهذا تخلى عن مبدأ تحرير القدس الشرقية من قبضة الصهاينة وفقاً للقرارات الدولية.

***فى ٥ سبتمبر ١٩٧٨ عقد «مؤتمر كامب ديفيد» واستهله بيجين بتأكيد:**

(أننا لن نقبل سيادة أخرى على يهودا والسامرة (الضفة) وغزة غير سيادة دولة اسرائيل)

وتقدمت مصر بورقة لم يؤخذ بكل ما جاء فيها فيما يتعلق بغير مصر..

– الانسحاب لحدود ١٩٦٧ – ازالة المستوطنات – منع انتشار الأسلحة النووية – ضمانات أمنية متعددة.

أما التنازلات التى جاءت فى الورقة المصرية فقد أقربها بالطبع وزيادة:

– تطبيق مبدأ حرية الملاحة فى مضايق تيران وقناة السويس.

– اقامة علاقة من التعاون وحسن الجوار – انهاء المقاطعة الاقتصادية – الاعتراف باسرائيل – عدم استخدام القوة فى المنازعات.. وتحولت هذه النقاط إلى تطبيع كامل وعلاقات دبلوماسية.

ومن الأمور الأخرى التى لم يؤخذ بها وجاءت فى الورقة المصرية:

– الغاء الحكم العسكرى فى الضفة والقطاع عند التوقيع على المعاهدة.

– نقل السلطة إلى الجانب العربى.

– الفترة الانتقالية تبدأ يوم التوقيع وتشرف خلالها الأردن على الضفة ومصر على غزة.

– انسحاب اسرائيل من القدس.

– التعويض المالى تدفعه اسرائيل عن أضرار عملية الاحتلال.

كل هذه النقاط لم يؤخذ بها.. وقد يقال أن التفاوض يبدأ بالتشدد للحصول على حل وسط.. ومن الواضح أنه فيما عدا استرجاع سيناء الادارى.. فلم يكن هناك حل وسط.. بل حل اسرائيلى ورؤية اسرائيلية كاملة..

أكد الاسرائيليون أن مسائل مثل رصف الطرق وامدادات المياه فى الضفة والقطاع تدخل فى نطاق أمن اسرائيل ولن تترك للحكم الذاتى!!

* أبلغ السادات كارتر أن تنازله عن الأراضى المحتلة لاسرائيل لن يعلنه فى الجلسات الأولى (!!).

* اعترف كارتر أن اتفاقيتى كامب ديفيد لم تعالج:

١) السيادة على الضفة الغربية وغزة.

٢) المستوطنات الاسرائيلية فى الضفة وغزة.

* ويقول كارتر (وليس جبهة الرفض العربية) عن الحكم الذاتى المقترح من الاسرائيليين:

(لن يوافق أى عربى يحترم نفسه على ذلك. أن الأمر يبدو وكأنه خدعة) (ولو كنت عربياً لفضلت الاحتلال الاسرائيلى القائم على ما تقدمونه من مقترحات).

* كما رفض بيجن دخول قوات مصرية أو أردنية لغزة والضفة فى الفترة الانتقالية باعتباره اقتراحاً لا يستحق مجرد المناقشة!!

* أدرك كارتر مستوى الخلافات بين السادات ومساعديه نتيجة تنازلات السادت.. لدرجة أنه خشى على حياته منهم.. وأمر فى إحدى الليالى بتكثيف اجراءات الأمن حول مسكن السادات!! (وفقاً لمذكرات كارتر)

* ان تحييد مصر واخراجها من الصراع كان هدفاً ثابتاً لاسرائيل، وهذا ما قاله دايان للسادات مباشرة..

(الشعب الاسرائيلى لا يخشى من بين الدول العربية إلا مصر. فهى الدولة الوحيدة القادرة على تهديد اسرائيل تهديداً حقيقياً).

## الصيغة النهائية لاتفاقيتى كامب ديفيد

ونواصل حديثنا عن الشق العربى والفلسطينى خاصة والذى لم يتم تنفيذه وكيف تم اغتياله فى هاتين الاتفاقيتين..

استخدمت الاتفاقية تعبير حكم ذاتى للسكان وأحيل كل شىء تقريباً إلى التفاوض بين الأردن ومصر واسرائيل والسكان المحليين..

واتسمت الاتفاقية فى هذا الجانب بالميوعة والغموض كما وصفها عن حق ابراهيم كامل وزير خارجيتنا فى ذلك الوقت والذى استقال احتجاجاً على هذا النص.

– وهناك اشارة إلى سحب القوات الاسرائيلية إلى مواقع أمنية معينة

داخل الضفة والقطاع (أى عدم انهاء الاحتلال العسكرى).
– واشارة أخرى لدوريات عسكرية مشتركة اسرائيلية – أردنية لضمان أمن الحدود(!!)
– هناك فترة انتقالية للحكم الذاتى تستمره سنوات يتم بعدها تحديد الوضع النهائى للضفة وغزة.. وعقد معاهدة سلام بين اسرائيل والأردن فى نهاية الفترة الانتقالية.
– وسيبقى البوليس المحلى مع اتصال بالضباط الاسرائيليين!!
– اسرائيل تشارك فى اقرار عودة المشردين من حرب ١٩٦٧.
وتم اختراع أسلوب الخطابات المتبادلة كملاحق لوثائق كامب ديفيد.. وهو أشبه بلعب الأطفال. فيرسل السادات لكارتر رسالة يقول فيها أن القدس عربية. ويرسل بيجن رسالة مضادة لكارتر يقول فيها ان القدس الموحدة هى عاصمة دولة اسرائيل. وخطاب السادات لكارتر ضرب به عرض الحائط أما خطاب بيجن فهو اقرار للأمر الواقع الذى مازال مستمراً حتى عام ١٩٩١.
أما فيما يتعلق بغزة – فقد ضربت بكل اقتراحات مصر حولها عرض الحائط أيضاً.. وأخذت حكومة مصر موقفاً غير أخلاقى وغير مسئول بالتخلى عن غزة التى كانت فى حمايتها وتحت اشرافها قبل ١٩٦٧.. وتركتها للمجهول.. أو بالأحرى للاحتلال!!

****

هذه باختصار شديد اشارات سريعة لرحلة تخلى حكم السادات عن مسئوليته العربية.. للحصول على حل منفرد يربط مصير مصر بحلف أمريكى – اسرائيلى – غربى تكون مصر هى الطرف الأضعف فيه.. بل والطرف الخادم.
وقد تطورت الأحداث لتثبت ذلك منذ توقيع المعاهدة المصرية الاسرائيلية فى مارس ١٩٧٩ فقد ضمنت اسرائيل الجبهة الجنوبية فانطلقت بصورة متوحشة ولتنشب أظافرها فى الجسد العربى الإسلامى..
– انطلقَتْ عملية بناء المستوطنات فى الضفة والقطاع.
– بدأت مباحثات الحكم الذاتى بين مصر واسرائيل تتعثر حتى توقفت تماماً بالفشل الذريع.

– عام ١٩٨٠ قرر الكنيست ضم القدس الموحدة، وجعلها عاصمة اسرائيل

– وبعد يومين من اجتماع السادات وبيجن فى شرم الشيخ فى ٤ يونيو ١٩٨١، قامت الطائرات الاسرائيلية بقصف المفاعل النووى العراقى.

– وفى ديسمبر ١٩٨١ أعلنت اسرائيل اخضاع مرتفعات الجولان للقانون المدنى الاسرائيلى أى ضمها.

ونلاحظ أن كل هذه الاجراءات والتعديات قد حدثت وأجزاء واسعة من سيناء لا تزال محتلة كضمان لصمت مصر.. أو بالأحرى كضمان لاقتصار رد الفعل على مجرد بيان الأسف والحزن.

– وبعد تأكدهم من ترويض حكومة مصر فى هذه الاتفاقيات.. وبعد الانسحاب شبه الكامل من سيناء، وبالتحديد فى يونيو ١٩٨٢، تقوم اسرائيل بأكبر غزو للبنان يصل إلى احتلال بيروت.. ويتسبب فى مذابح صابرا وشاتيلا.. ولا تملك مصر إلا سحب سفيرها للتشاور.

– ثم قامت الطائرات الاسرائيلية بتدمير مواقع الصواريخ الدفاعية السورية الجنوبية كما دمرت ٨٦ طائرة سورية بدون أن تفقد طائرة واحدة وكان ذلك ثمرة للتعاون الاستراتيجى مع الولايات المتحدة.

– فى أكتوبر ١٩٨٥ جاء دور تونس حيث قامت الطائرات الاسرائيلية بتدمير مكاتب منظمة التحرير وأجزاء من قرية مجاورة.

– ثم قامت أمريكا فى ابريل ١٩٨٦ بغارات جوية ضد ليبيا..

وخلال كل هذه العمليات أصبحت الحكومة المصرية إحدى ركائز الاستراتيجية الأمريكية فى المنطقة..فبعد أن استخدمت أراضيها لانطلاق عملية عسكرية فاشلة ضد ايران لتحرير الرهائن الأمريكيين (عملية طبس) شاركت الحكومة المصرية فى إذكاء نار الحرب العراقية – الايرانية، وبهدف محاصرة واجهاض الثورة الاسلامية فى ايران.. ثم كان للحكومة المصرية دورها فى ضرب القوة العسكرية والصناعية العراقية ضمن أزمة الخليج الأخيرة.. ومازالت هذه الحكومة تشارك فى المخطط الأمريكى لمحاصرة وتجويع شعب العراق.

وقبل أن نصل إلى أعتاب مؤتمر مدريد.. ينبغى أن نركز النتائج المستخلصة من العرض السابق فى النقاط التالية:–

١- ان مصر حققت اتفاقية ومصالحة منفردة وتخلت عن القضايا العربية.. وفى مقدمتها فلسطين.. بدعوى أن ذلك أقصر الطرق للخلاص من مشكلة احتلال الأراضى المصرية.

٢- ان مصر هى الدولة الوحيدة من الدول التى تعرضت للاحتلال التى تلقت وعداً سرياً بجلاء القوات الاسرائيلية عن أراضيها.

٣- ان الأطراف المعنية العربية الأخرى لم يكن لديها أى حافز للمشاركة.. لعدم وجود أى ثمار متوقعة فى ذلك الوقت..

٤- ان صياغات كامب ديفيد خاصة فيما يتعلق بالحكم الذاتى الفلسطينى برهنت لغير المشاركين أن شيئاً لم ولن يفوتهم فى هذه اللعبة الخاسرة، حيث لم يكن الحديث عن الربط بين مشكلة مصر والمشكلات العربية المماثلة إلا مجرد ربط لفظى.

٥- ان مباحثات الحكم الذاتى بين مصر واسرائيل.. وصلت إلى طريق مسدود بعد ٣ سنوات وتم ايقافها.. ولم تهتم الادارة الأمريكية بذلك، حيث تحقق لهم ما يريدون من اضعاف مصر والعرب.. بفصلهما عن بعضهما البعض.. وتعميق العلاقات المثلثة المصرية - الاسرائيلية - الأمريكية.

## المعاهدة المصرية الاسرائيلية
## دليل دامغ على الانفراد

كما ذكرنا فان صياغات كامب ديفيد.. والاتصالات السياسية والدبلوماسية المصاحبة لها.. لم تجعل هناك أى دافع لأى طرف عربى للمشاركة.

ولا شك أنه كان من قبيل التخلى أو الغدْر أن توقع أكبر دولة عربية على معاهدة مع اسرائيل تقول: (يقر الطرفان ويحترم كل منهما سيادة الآخر وسلامة أراضيه واستقلاله السياسى) أىّ سيادة وأى سلامة أراضى واسرائيل تحتل أراضى الدول العربية.. وتوقع مصر على معاهدة تَنُص على عدم استخدام القوة ولا حتى مجرد التنظيم أو التحريض أو الاثارة أو المساعدة أو الاشتراك فى فعل من أفعال الحرب أو الأفعال العدوانية أو النشاط الهدام أو أفعال العنف الموجهة ضد الطرف الآخر فى أى مكان.. كما يتعهد كل طرف بأن يتكفل بتقديم مرتكبى مثل هذه الأفعال للمحاكمة!! أىْ تكبيل مصر حتى عن «التحريض» على «نشاط هدام» ضد اسرائيل فى وقت

تشن هى فيه العدوان فى كل الاتجاهات كما ذكرنا فى العرض السابق، وتعلن تمسكها بالقدس والضفة الغربيّة والجولان وجنوب لبنان.

## ولكن ماذا جنت مصر من الاتفاق المنفرد؟

### أولا: السيادة المنقوصة فى سيناء:

ركزت فيما مضى على تعبير الاستعادة «الادارية» لسيناء، تأكيداً على عدم عودة السيادة المصرية على سيناء.. فقد أصبحت سيناء فى معظمها منزوعة السلاح وتتواجد بها قواعد للقوات المتعددة الجنسية، وعلى رأسها قوات أمريكية.. للمراقبة والتفتيش والانذار المبكر. وسمح بتسليح محدود لا يتجاوز فرقة.. ولا يزيد عدد أفرادها عن ٢٢ ألف جندى.. فى المنطقة (أ) الملاصقة لقناة السويس.. باختصار لقد تم التعامل مع مصر باعتبارها معتدية.. ويجب حماية اسرائيل من عدوانها المتكرر.. فى حين أن العكس هو الذى حدث فى عدوان ١٩٥٦، وعدوان ١٩٦٧، فلم يحدث هجوم على اسرائيل انطلاقاً من سيناء منذ ١٩٤٨ حتى الآن.. ولكن اسرائيل أرادت أن تحتفظ بالمزايا الأمنية لوجود سيناء فى حوزتها.. وهذه المزايا تتحقق بنزع سلاح سيناء.. وبعمق لا يقل عن ٢٠٠ كيلو متراً، وهذه أكبر حماية لاسرائيل وضمان لعدم تعرضها لأى مفاجآت من الجبهة الجنوبية.. خاصة مع ارتباط ذلك بوجود قوات متعددة الجنسية متمركزة فى سيناء قلما يشير الاعلام الرسمى فى مصر إلى تواجدها..

وتقسم المعاهدة المصرية – الاسرائيلية سيناء إلى ٣ مناطق:

المنطقة أ– غرب قناة السويس.. ويسمح فيها بتواجد ما لايزيد عن فرقة مشاة ميكانيكية واحدة.

المنطقة ب: ويسمح فيها بتواجد أربع كتائب من قوات الحدود مزودة بأسلحة خفيفة للتعاون مع الشرطة المدنية.

المنطقة جـ– وهى الملاصقة لحدود فلسطين ولا يسمح فيها إلا بتواجد الشرطة المدنية المصرية فقط بالإضافة للقوات الدولية، والخريطة كافية لتوضيح حجم المنطقتين ب + جـ وهما حوالى ثلثى سيناء..

وبالمقابل ما هو الوضع فى اسرائيل: لا توجد أى مناطق منزوعة السلاح.. منطقة واحدة تسمى (د) عمقها ٣ كيلو مترات فقط يحدد فيها العدد الأقصى للقوات الاسرائيلية بأربع كتائب مشاة. (ومن الطرائف أن اسرائيل طلبت

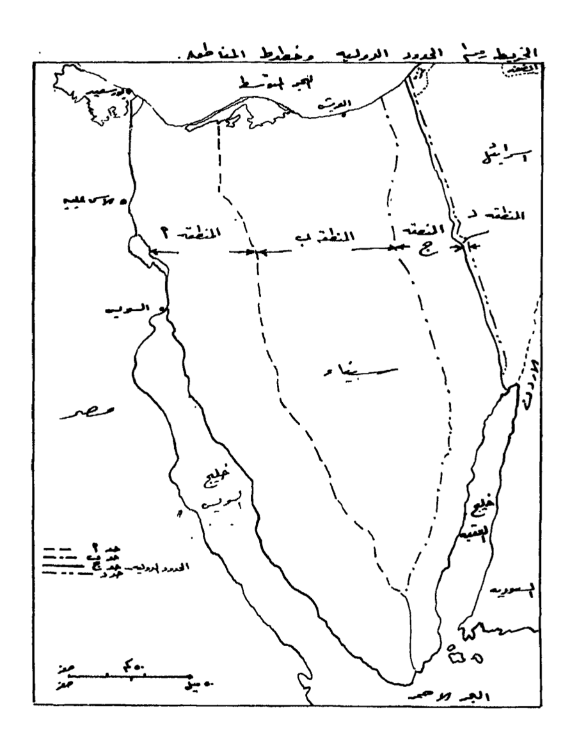
ثـلاث كتائب.. ولكـن السـادات قال لـوايـزمان بـل أربـع كتائب علشـان خاطرك!!).

وبينما سمح للطيران الاسرائيلى بـالتحليق فـوق المنطقة (د)، لم يسمـح للطيران المصرى بالتحليق إلا فوق المنطقة (أ) فقـط، وكذلك الأمر فيما يتعلق بتمركـز الطائرات غير المسلحـة وغير المقاتلـة، بينما سمح بهبـوط طائرات النقل غير المسلحـة المصرية فقط فى المنطقة ب ولا يحتفـظ فيها بأكثـر من ٨ طائرات!!

ولا يمكن انشاء مطارات فى هذه المناطق إلا أن تكون مدنية..

بل امتد تقييـد حركة الجيش المصرى إلى البحرية، بحيـث لا يسمح بقطع البحرية المصرية بالتحرك إلا فى ساحل المنطقة أ، أما سواحل المنطقة ب وجـ فتكون تابعة لشرطة السواحل خفيفة التسليح..

وهـذا التقييـد البحـرى والجوى، لا يماثلـه أى تقييـد على الجانـب الاسرائيلى!!




الخريطة رقم ١ الحدود الدولية وخطوط المناطق.

## القوات الدولية:

وقوامها الأساسى قوات أمريكية، وتتولى هذه القوات مراقبة وقف اطلاق النار.. والالتزام بـالتقييد العسكرى الوارد فى المعاهدة، ولا يتـم سحب هذه القوات متعددة الجنسية إلا بموافقة مجلس الأمن بما فى ذلك موافقة الدول الخمس الدائمة العضوية.

وبالتـالى تخلّتْ مصر عن سيـادتها، بحيث لم يعـد بامكانها اخـراج هذه القوات بارادتها المنفردة.

ونلاحظ أن المعـاهدة أشارت إلى القوات الدولية فى المنـاطق أ، ب، جـ (أى سيناء) وأشـارت إلى مراقبين دوليين فقط فى المنطقـة (د) باسرائيـل، وهذه القوات الدولية تقوم بعمليات مـراقبة وتفتيش فى كل سيناء (أ، ب، ج)، ومن حقها التحقيق الـدورى مرتين فى الشهر على الأقل بالإضافـة لإجراء تحقيق اضافى خلال ٤٨ ساعة بعد تلقى طلب بذلك من أى من الطرفين.

ولكى يكون هناك شاهد على قهر الارادة المصرية مضت المعاهدة بصورة لا مثيل لها فى المعاهدات تنص على:

(يلتزم كل طـرف بالمحافظة على النصـب المقامة فى ذكرى جنـود الطرف الآخـر بحالة جيـدة (!!) وهـى النصب المقامــة بواسطة اسرائيـل فى سيناء، والنصب التى ستقـام بواسطة مصر فى اسرائيل!! كما سيسمـح لكل طرف بالوصول إلى هذه النصب).

### ماذا كان رأى المفاوض المصرى خلال المفاوضات فى هذه النتائج؟

قال «الجمسى» وزير الـدفاع المصرى خلال مباحثاته مـع اسرائيل: انه سوف يعترض على تخفيـض القوات المسلحة المصريـة المتمركـزة على طول قناة السويس كما أنه لن يوافـق على تحديد حجم هذه القوات وعلى اسرائيل أن تكتفى بوعد مصر ألا تبقى قوات كبيرة هناك. وأضـاف قائلاً:

(وكذلك فاننـى أعارض نزع السلاح، ذلك أن نزع السـلاح يمثل انتهاكاً لسيادة مصر).

وأضـاف اللواء الجريدلى عضو الوفد العسكرى المصرى:

(وهل توافقون أنتم على نزع سلاح إيلات أو بئر سبع؟)

وخلال المفاوضات مع اسرائيل أعترض السادات نفسه على وضع قوات الأمم المتحدة فى شبه جزيرة سيناء، وقال أكثر من مرة أثناء النقاش:

(ان وجود هذه القوات سوف يكون انتهاكاً للسيادة المصرية).

وأعرب وايزمان عن أهمية نزع سلاح سيناء باعتباره أمراً نموذجياً بالنسبة لاسرائيل.

خلال مباحثات كامب ديفيد عاد السادات وأكد أنه لن يسمح اطلاقاً بسيطرة عسكرية اسرائيلية أو أمريكية أو أى جنسية أخرى على الأراضى المصرية.

وقال أيضاً: (ان شعبى لن يوافق على تواجد أى نظام أجنبى على أرضه، ولن يوافق حتى على تواجد قوات أمريكية فى سيناء).

وهكذا استغنيت عن تعبيراتى «المتطرفة» ولجأت لتعبيرات السادات والجمسى التى أقبلها تماماً.. ولكن السادات تخلى فى النهاية عن هذه المواقف..

مرة أخرى قد يقال ان المفاوض لا بد أن يصل إلى منتصف الطريق.. ويتنازل عن جزء من مواقفه الأولى.. ولكن من الواضح أن مصر تراجعت عن كل مواقفها عدا استعادة سيناء بصورة إدارية، وأُستخدمت ورقة المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء (والتى لا تضم إلا ألفىْ اسرائيلى) كورقة ضاغطة لآخر لحظة. حتى يوافق السادات على كل مطالب اسرائيل الأخرى، حتى فيما يتعلق بسيناء.

****

كل هذا يتعلق بالسيادة المنقوصة لمصر على سيناء، وليس هذا إلا أخفّ الاضرار..

أما أخطر الاضرار فتمثلت فى: (١) عمليات التطبيع بالاكراه.. مع العدو الصهيونى..

(٢) الهيمنة الاقتصادية السياسية للولايات المتحدة على الأوضاع الداخلية فى مصر.

(٣) عزل مصر عن عالمها العربى الاسلامى.

(٤) وكنتيجة لكل ما سبق إضعاف مصر.. وتحولها إلى نوع من الرجل المريض - الشحاذ.. وبالتبعية أيضاً إضعاف الأمة العربية وتعرضها للمزيد

من التمزيق.. وللمزيد من الضربات الاسرائيلية الأمريكية.

ولنا وقفة عند النقطة الخاصة بالتطبيع لارتباطها المباشر باتفاقية كامب ديفيد ومعاهدة السلام.

**التطبيع بالاكراه:**

قبل مبادرة السادات بزيارة القدس المحتلة كانت لـه أحاديث كثيرة عن السيادة وحقوق السيادة.. والفارق بين انهاء حالة الحرب، واقامة العلاقات الدبلوماسية والتطبيع.. وأن المعاهدة المستهدفة مع اسرائيل تخص انهاء حالة الحرب، أما العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية والثقافية فهذه من حقوق السيادة.. وهذا الكلام صحيح من وجهة نظر القانون الدولى..

ولكن الرئيس السادات فقد أعصابه.. وتعجل.. وتصور أنه سيحصل على سيناء بسرعة وببعض الاغراءات.. فسار فى الشوط إلى نهايته..

وبدأ يقدم تنازلات مجانية متوالية.. فلدى زيارته للقدس وعد بيجين بنزع سلاح سيناء، وفى لقاء ثانى مع وايزمان وعده بالعلاقات الدبلوماسية والتطبيع الكامل، كل ذلك والمفاوضات الجدية لم تبدأ بعد.. ثم جاءت معاهدة السلام لتفرض العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل. وأصبح اغلاق السفارة الاسرائيلية انتهاكاً للمعاهدة. وهذا اختراق للسيادة المصرية (وأشرت فى السابق لانتهاك السيادة فى حق سحب القوات الدولية - ومجرد وجود هذه القوات) وأصبحت العلاقات الاقتصادية مع اسرائيل اجبارية لأنها جزء من المعاهدة كذلك الأمر فيما يتعلق بالعلاقات الثقافية..

وإذا افترضنا جدلاً أنه يمكن أن تنشأ صداقة بين عدوّين سابقين. فاننا لا يمكن أن نتصور أن تقوم صداقة حقيقية بالاكراه.. أو حب يستند للمسدس الذى يضعه الحبيب فى رأس حبيبه. ولأنه تطبيع بالاكراه فلا يمكن أن يكون فى صالح مصر..

أرادت اسرائيل أن تشعر بأنها لم تخسر شيئاً من انسحابها من سيناء، فعلى المستوى الأمنى حققت الاستفادة من سيناء كمنطقة عازلة أمنية وعلى المستوى الاقتصادى أصرت على حقها فى شراء كمية ثابتة من بترول سيناء. وكأنه من حقها، وكأنه لم يكفها ما قامت به من استنزاف لحقول البترول فى سيناء طوال فترة الاحتلال.

ورفض المفاوض المصرى هذا الفرض فى البداية حيث تكون (العلاقة فى

هذه الحالة علاقات غير طبيعية تحمل طبيعة الاذعان).

وان (السلام يعنى علاقة طبيعية بين دول نبذت الحرب فى علاقاتها المشتركة، ولكنه لا يمكن تفسيره على أنه علاقات اقتصادية جبرياً ينص عليها فى معاهدة سلام إلا فلا معاهدة ولا سلام).

(على حد تعبير كمال حسن على فى مذكراته)

ومع ذلك تراجع المفاوض المصرى.. وأعلن السادات التزام مصر ببيع ٢ مليون طن من البترول سنوياً لاسرائيل. (أى ربع اجمالى احتياجات اسرائيل السنوية). ولم يكشف النقاب عن تفاصيل الاتفاق من حيث السعر والمدى الزمنى*..

ولكن الواقع أن مصر مازالت ملتزمة بهذا الاتفاق حتى الآن، الأمر الذى جعل اسرائيل فى مقدمة مستوردى البترول المصرى. والطريف أن توريد البترول لاسرائيل بدأ حتى قبل اتمام الانسحاب الأولى من سيناء.

ولقد ضربت مثلاً بالبترول باعتباره مجالاً حيوياً ونموذجاً على كيفية التطبيع بالاكراه.. والعلاقات بين مصر واسرائيل لم تعد على مصر إلا بالضرر الثقافى والأخلاقى والمادى الاقتصادى.. وهذا ما يحتاج إلى معالجة مستقلة، ويكفى أن نشير إلى ما ورد فى جريدة الشعب طوال الأعوام الماضية عن الدور التخريبى لاسرائيل فى مجال الزراعة المصرية، ومجال السياحة، وغيرهما. مما لا يتسع له المجال فى هذه العجالة.

---

*جاء فى الملحق الثالث للمعاهدة المصرية – الإسرائيلية ( اتفق على ان هذه العلاقات الاقتصادية سوف تشمل مبيعات تجارية عادية من البترول من مصر الى إسرائيل)، وهكذا اصبح تصدير البترول لاسرائيل جزءاً لا يتجزأ من المعاهدة!!

وفى ٢٠ يناير ١٩٨٠ أعلن مصدر وثيق الصلة برئاسة مجلس الوزراء الاسرائيلى أن مصر ستبيع لاسرائيل بترولاً بسعر يقل عن السعر الذى تبيع به لسائر المشترين بمقدار خمسة دولارات للبرميل الواحد.. وهو الامر الذى اكده أيضاً اسحاق موداعى وزير الطاقة الاسرائيلى.

# مدريـــــد

نخلص ممـا سبق إلى القول بأن مسيرة كـامب ديفيد لم تكـن رائعة، ولم تكن انجازاً نفاخر به الأمم وندعوها لتحذو حذونا..

اذن ما هو الجديد الذى يمكـن أن نراه تحت الشمس؟! ولماذا اتجه العرب جميعاً الآن إلى مـدريد؟ أليس هذا مصداقاً للطـريق «المصرى»؟ أم أن فرص مدريد أفضل من فرص كامب ديفيد..؟!

كان الهدف من استرجاع الخبرة المريرة لكـامب ديفيد.. القاء الضوء على مؤتمر مـدريد.. لأن العقلية الاسرائيلية - الأمـريكية لم تتغير.. كما لم يتغير ميزان القوى الذى يمكن أن يجبر الأعداء على تعـديل طريقة تفكيرهم.. ولكن تغيرت بعض الظروف فما هى؟! وما هو الجديد؟

- الجديد هو استعادة الولايات المتحدة لرغبتها فى تحقيق التسوية.
- الجديد هو قبول سوريا والأردن ولبنـان ومنظمة التحرير المشاركة فى المؤتمر.

## الموقف الأمريكى:

لم يتغير موقف الولايات المتحدة من حيث الأساس فما زالت اسرائيل هى الحليف الأسـاسى والثابت لها فى المنطقـة وبما لا يقاس به أى نظام عـربى تابع غير مضمون الثبات والاستمرار. ولكن تحركهـا لعقد مؤتمر مدريد ثم متابعة المباحثات فى واشنطن كان بهدف:

١) محاولة اعطاء مصداقية لما تقوله أمريكا عن الشرعية الدولية.

٢) احكام السيطرة على المنطقـة باخماد لهيب الانتفاضـة الفلسطينية عن طريق وعود السلام.

٣) محاولة التوصـل لإجراءات أمنية لصالح اسرائيل تـدفعها للتخلى عن جزء من الأراضـى المحتلة للأردن وسوريا.. وإنهاء مـا يُسَمّى أزمة الشرق الأوسط وليسود فى المنطقة بذلك عصر السلام الأمريكى الاسرائيلى.

٤) اقامة تحالف اقليمى اجبارى بين الحكومات العربية واسرائيل بقيادة اسرائيل، فيما يسمى المبـاحثات متعددة الاطراف.. وبهذا تتحقـق السيطرة «الأبدية» على أكثر المناطق اقلاقاً فى العالم.. أو هكذا يتصورون.

****

ويساعد الولايـات المتحدة فى طموحها هذا، سقوط المعسكـر الشيوعى..

وتحول الاتحاد السوفيتى الى خيال مقاتة.. يمكن اصطحابه فى أى مكان ولأى غرض تراه امريكا.. فلاشك ان اكثر المواقف اثارة السخرية.. اعتبار ان الاتحاد السوفيتى راعى المؤتمر فى مدريد على قدم المساواة مع امريكا.. فى حين ان هناك شكوكاً كبيرة فى مدى سلطات الرئيس جورباتشوف خارج دائرة موسكو.. بل وحتى فى داخلها.. وتوجد شكوك أعم حول وضع وحدود وخريطة الاتحاد السوفيتى نفسه الذى يمر بحالة سيولة.. وانصهار.. واعادة تفكك وتشكل.. فى ظاهرة جيولوجية - كيميائية لا مثيل لها فى التاريخ.. وحيث تحولت السلطة المركزية الصارمة الى عدد لا نهائى من السلطات المتوزعة فى مختلف المناطق والجمهوريات، وحالة شاملة من الفوضى لا يعرف سوى الله متى ستنتهى؟! وعلى أى شكل أو صورة ستنتهى؟

الواقع اذن ان العالم يشهد حالة من سيطرة القطب الواحد.. لان كل الأقطاب الأخرى المرشحة.. مازالت مؤجلة.. ولم تحضر بصورة ملموسة على المسرح الدولى.. وهى أوروبا الموحدة.. أو المانيا الموحدة.. أو اليابان أو الصين.

وان كنت أرى ان هذه السيطرة الواحدية امر عارض ومناف لسنن الطبيعة وحكمة التاريخ.. ولذلك فهى لن تستمر طويلا.. وسيتضحّ سريعاً وخلال سنوات ان الولايات المتحدة ستعجز وحدها عن حكم العالم.. بقبضة حديدية.. او حتى بالسيطرة الاقتصادية، فالولايات المتحدة تعانى من مشكلات اقتصادية شديدة.. وليست بأى حال من الاحوال فى حالة صعود حضارى.. بل بالاحرى هى فى حالة انحدار حضارى.. ولكن الذى اعطى لها بريقاً زائفاً هو السقوط السهل لخصمها الشيوعى.. فعندما يسقط الخصم فى حلبة الملاكمة.. يعد المنافس هو الفائز بالتبعية.. وبغض النظر عن اسباب سقوط المنافس.

ومع هذا تعتقد الولايات المتحدة انها امتلكت العالم وتتحرك على هذا الاساس.. ويشاركها فى ذلك كل الحكام الضعفاء والخاضعين لها فى مختلف انحاء العالم ويتصرفون على هذا الأساس.

وكذلك فان الولايات المتحدة تدرك مدى عمق ما ارتكبته فى حرب الخليج ضد الشعب العراقى بدون أى مسوّغ من القانون الدولى أو قرارات مجلس

الأمن، بل ومازالت تواصله من استمرار الحصار الاقتصادى على شعب العراق رغم انتهاء مشكلة الكويت.. بل وحتى نزع السلاح ذى التدمير الشامل فى العراق.. فهى الان تحاول ان تقدم نفسها بصورة الذى يهدى السلام والارض للعرب.. ويحل مشكلة فلسطين!!

اذن لا جديد حقيقة فى جوهر الموقف الامريكى.. ولكن الجديد فى أسلوب التعامل مع الظروف المحيطة.. فعندما فشلت فى السابق مباحثات الحكم الذاتى بين مصر واسرائيل لم تعر الولايات المتحدة ذلك انتباها.. اما الآن فهى تسعى لمجرد.. مواصلة المفاوضات.. لتستمر لمدة سنوات.. واذا حققت شيئاً فلابد ان يكون ذلك فى اطار تحقيق المصالح الامريكية.. والأهداف الامريكية وعلى رأسها الرفض الجازم لانشاء دولة فلسطينية.

ولكن ماهو الجديد الذى دفع الأطراف العربية للمشاركة؟!

اولا: لابد ان نقول ان المشاركة العربية.. او الموافقة السهلة على حضور مؤتمر مدريد جاءت من موقف الضعف.. فقد قاوم العرب هذا الموقف بدون مصر.. وهى عدتها وقوتهم الرئيسية.. فلم يجدوا جدوى.. ولاشك ان مصر اضعفت العرب بانفرادها بالحل فى كامب ديفيد.. وبتخليها عن خط المجابهة.. نقصد المجابهة الحضارية المتواصلة مع الكيان الصهيونى.. وعمقه فى الغرب.. وليس مجرد المجابهة المسلحة.

وبالفعل يجب الاعتراف بريادة مصر الرسمية.. وبانها كانت السابقة.. ولكن فى الانحدار.. وفى التخلى عن كيان ومقدرات الأمة وتسليمها للأعداء. واذا كانت الأنظمة العربية الأخرى لم تستطع ان تقدم بديلاً.. بتناحرها.. وافتقادها للجذور الشعبية فان هذا لا يمثل مفاجأة للقوى الشعبية الأصيلة التى عارضت مسيرة كامب ديفيد منذ البداية.. فهذا الوضع الرسمى العربى برّمته هو الذى قادنا للاستسلام.. ولا يمكن ان ينبثق البديل الحقيقى من داخله..

سوريا بعد ان رأت ماحدث للعراق.. وبعد ان فقدت الاتحاد السوفيتى لم يعد بامكانها ان ترفض طلباً من الولايات المتحدة.

ولبنان يخضع فى قراره.. للموقف السورى..

والاردن كان يريد اصلاح ما أفسدته أزمة الخليج من علاقاته مع الغرب.

وفى هذا الاطار لا يمكن ان نطالب منظمة التحرير.. بان تعمل خارج كل

الوضـع الرسمـى العربـى.. فهى لا يمكـن ان تعمل فى الفـراغ او محلقة فى الفضاء.. ولا يمكـن ان ننكر الفـائدة الدعائيـة والدولية لـلإقرار بـالطرف الفلسطينـى من خـلال المؤتمر.. الـذى محتـه اسرائيل مـن على الخريطـة.. فالفلسطينيون ليس لديهم ما يخسرونه اكثر مما خسروا.. ولكن مع التأكيد ان تحرير فلسطين او جزء منها.. لن يتم فى غرف المفاوضات.. وان استمرار الانتفاضة وتصاعدها فى الارض المحتلـة.. وتصاعد الكفاح المسلح والجهاد بشتى صـوره والوانه.. هو الـذى سيفرض أى تقدم فى انتزاع أى قـدر من الحقوق الفلسطينية.. خاصة وان المطـروح مع اقصى التفاؤل – ٦ سنوات لتحقيق الحل (سنة للتفاوض و٥ سنوات مرحلة انتقالية).

****

ان المفاوض العربى يعتمد على الخلافات المحدودة بين اسرائيل والولايات المتحدة وإن اقصـى ما يتمنـاه هو الحصـول على أراض.. وليس الأراضـى المحتلة عام ١٩٦٧، وهـذا من الممكن تحقيقه ولكن الثمن سيكـون غالياً.. لا شك ان هنـاك خلافاً بين الـولايات المتحدة واسرائيـل.. بمعنى عدم تطـابق المصالح والرؤيـة.. لاختلاف المنظور الذى ينظر به كـل منهما.. فلاشك ان اسرائيل تريد كل شىء لها.. وامريكا تريد اسرائيل والعرب والمنطقة بأسرها لها.. وبالتالى فمن مصلحتها.. ان تجرى بعض التوفيقات. اسرائيل متمسكة – بعد التخلى عن سينـاء – الى أبعد حد بالاراضى المحتلـة.. فى الضفة وغزة والجولان ولبنان.. وامـريكا تسعـى لتقديـم ضمانات امنيـة واقتصاديـة وتطبيعيـة.. بحيث تجعـل اسرائيل اكثـر مـرونة.. فيما يتعلـق بالأراضـى المحتلة.. بمعنـى ان تحقق اهدافها فى السيطـرة بوسائل اخرى، وبمعـاونة امريكا!!

ويجب ان نضع فى الحسبان أن العلاقات الامـريكية – الاسرائيلية فريدة بالفعل ولا مثيـل لها فى العالم.. وان اسرائيل تتحكم فى امريكا – عـن طريق اللوبى الصهيونـى – كما تتحم امريكا فيها.. ولن يتحقـق الفصل الواضح بين مصالح امريكا ومصالح الصهيونية العالمية واسرائيل.. الا اذا اصبحت اسرائيل خطراً على مصالح امريكا.. وهذا لن يتحقق فى حالة الضعف العربى الراهنـة.. طالما ان الحكام العرب يبتلعـون كل مظاهر الاذلال الصهيـونى.. ويقبلون أعتاب البيت الابيض.. اذن لا تشعـر الولايات المتحدة بأنها تخسر

شيئاً.. باستمرار انحيازها لاسرائيل.. وهذا ما يساهم بدوره فى تدعيم وزن وفاعلية اللوبى الصهيونى.. وهذا مـا يدعم التوجّه المشترك الذى يجمع بين اسرائيل وامريكا فى السيطرة على هذه المنطقة الحيوية فى العالم.. وضرب أى محاولـة للوحـدة العربيـة والاسـلامية.. ووأد أى انبعـاث لمجد الحضـارة الاسلامية..

هذه الاهداف الامريكيـة معلنة.. وقد جاء فى رسالة التطمينـات الامريكية الى حكومة اسرائيل بتاريخ ١٨/١٠/١٩٩١..

(ان التزاماتنـا بأمن اسرائيل بـاقية على ماهى عليـه، وكل من يحاول ان يدس بيننا ساعياً للمس بهذه الالتزامات لا ينجح فى فهم الروابط العميقة بين دولتينا وطبيعة التزاماتنا بأمـن اسرائيل، بما فى ذلك الالتزام بتثبيت تفوقها النوعى).

ولماذا التفوق النـوعى؟! فى وقـت يتحدثون فيـه عن السـلام ؟! وفى نفس الرسـالة تعهد صريح بعـدم تأييد انشـاء دولة فلسطينية مستقلة. وتـأكيد احترام الولايات المتحـدة لتمسك اسرائيل بالجولان!! فتقول الرسـالة والتى نشرتها صحيفة معاريف الاسرائيلية:

(لم تبلور الـولايات المتحدة حتـى الآن موقفـاً نهائياً من مسـألة الحدود وعندما ستضطر الى عمل ذلك، فـانها ستولى وزنا كبيراً لموقف اسرائيل بان كل تسـوية سلميـة مع سـوريا يجب ان تقـوم على بقاء اسرائيـل فى هضبة الجولان)!!

وينطلق الموقف الأمريكـى من تحقيق اهداف اسرائيل بأسـاليب اخرى.. فبدلاً من احتـلال الجولان.. يتم نزع سلاحها.. ووضع قـوات دولية فيها.. ويتم اجبـار سوريا على التطبيـع مع العـدو الصهيونى او كما يقـرر السيد بـوش فى خطابـه بمدريـد (السلام الحقيقـى.. معـاهدات.. أمـن.. علاقـات دبلومـاسية علاقات اقتصـادية، تجارة، استثمارات تبادل ثقافى، سيـاحة) ولكن اسرائيل ترى ان تبقى الاوراق فى ايـديها لا فى أيدى الولايات المتحدة.. وهذه نظـرة استراتيجية صـائبة لعـل حكامنـا يتعلمون منهـا.. فالمُخطـط الاسرائيلى لا يفكر فى اليوم والغد.. ولكن لعشرات السنين القادمة.. وهو يعلم ان الـولايات المتحـدة أو نفـوذهـا ليس بـاقيـاً ابـد الدهـر.. وان احتمالات الاختلاف الجذرى فى المستقبل قائمة اذا تغيرت الأوضـاع العربية والدولية.

وقد ظهر هذا واضحاً فى مباحثات السادت مع صديقه وايزمان.. عندما قال لـه الاخير.. «ان كل مـا تقدمـه من ضمانـات.. لا يمكن ان نـأخذ بـه إلا اذا ضمنـت اسرائيل ان تعيـش ١٢٠ عـاماً..» وقـد كانـت هـذه نظرة سليمـة فاسرائيـل تريد ضمانـات مادية فى أيـديها.. وقد كـان ذلك بالفعـل واغتيل السـادات بعد هـذا الحديث بـأربـع سنوات.. واضطـر الحاكم التـالى.. إلى الالتزام بالمعاهدة مع اسرائيل ومابها من قيود..

نفس الشـىء ينطبق على رؤية اسرائيـل لا حتلالها لبنان والضفة وغزة.. وخوفها من مجرد وجود كيان إدارى فلسطينـى، له ارتباط مع الاردن.. بل يجب ان يكون خاضعاً للسيادة الاسرائيلية.

واسرائيـل تريـد كـل شـىء.. الأرض والسلام والأمـن.. «الارض» لأن التوسـع صفـة جوهرية مـن صفات هذا الكيان.. «السـلام والأمن» بمعنى ضمان عدم مقـاومة مشروعاتها التوسعيـة.. وان الولايات المتحدة مـراعاة «للملاءمة السياسية» تريد التخفيف مـن هذه الصورة الفظة.. خاصة وانه لم يعد هناك ما يخيف الولايات المتحدة فى مجال الأنظمة العربية.. التى كانت متحالفـة فى السابق مـع الاتحاد السوفيتى.. وقـد ضربت العراق ومـازالت تحاصره.. وتعلـم ان ايران بعيـدة عن قلـب الصراع إلا مـن خلال النشـاط الشيعى فى لبنـان (حزب اللـه) ولعل هـذا هو سر اهتمام الـولايات المتحـدة بالتحرش بليبيـا مؤخراً باعتبارهـا خارجة عن الصـف الأمريكى. فى دائرة الشرق الاوسـط.. ولا شـك ان ايران والسـودان الاسـلاميتين على جـدول الأعمال العدوانى الأمريكى.. فى الوقت الذى يرونه ملائماً .

## مسئولية العرب عن حل مشاكل اسرائيل:

لان اسرائيـل دولـة قـد نشـأت بشكل شـاذ فى المنطقـة.. فـان وضعهـا الاقتصادى والأمنـى لابد ان يكون شـاذاً.. فأى دولة فى العـالم لا يمكن ان تستغنى عن عـلاقات تعاون مع الـدول المجاورة.. وإلا لتحولت الى جـزيرة منعزلة مليئة بالمشكلات.. ولم تعش اسرائيل طوال هذه السنوات.. الا بحقن المسـاعدات والتـى هى أشبـه ما تكـون بعمليـات نقل الـدم المستمر.. مـن الولايات المتحدة والغرب.. حكومات وتجمعات يهودية.. وبروتستانتينية.

والمطلوب الآن من العرب ان يتركوا هـذا الكيان فلا يحاربوه.. ويستغنوا عن فلسطين.. ويتركوها له لقمة سائغة.. لتنتهى الصراعات..

ولكن ليس هذا هو المطلوب فقط والا لكان مجرد نوع من الهدنة والتقاط الأنفاس على أى حال.. لا. بل المطلوب أكثر من ذلك ان يبذل العرب والمسلمون كل مرتخص وغال للإنفاق على هذا الكيان ورعايته.. وضمان استمرار ازدهاره.. وتسيده عليهم.. كما يعمل العبيد عند السادة.. لتدعيم سيادتهم.. راضين بالفتات الذى يمكن ان يجود به السادة!

وهذا هو الوصف الحقيقى لما تسمى المفاوضات المتعددة الأطراف.. والتى قال بوش وشامير انها أهم مرحلة فى المفاوضات.. وانها هى السلام الحقيقى.. وانها هى التى قد تساعد على اعادة النظر فى موضوع الاراضى المحتلة.. وتبحث هذه المفاوضات.. التطبيع وانهاء المقاطعة.. ونزع السلاح والمياه.. والبيئة.. الخ. الخ.

ولم تكشف امريكا واسرائيل اوراقهما فى هذا المجال بالتفصيل.. ويكفى أن ندرك ان هذا يتم تحت التعهد الامريكى المعلن للحفاظ على التقدم النوعى لاسرائيل!!

ولكن الدراسات العديدة المنشورة تكشف النوايا الاسرائيلية فى هذا المجال.. وسنتوقف فقط عند مشكلة المياه كمثال للسلام الاسرائيلى الامريكى المقترح.

فقد ثبت ان تمسك اسرائيل بجنوب لبنان والجولان والضفة مرتبط فى أحد جوانبه الهامة بتوفير موارد المياه.. التى بدأت اسرائيل تعانى من العجز منها حتى بدون ان تنسحب من هذه الاراضى..

فى جنوب لبنان.. عدة أنهار فى مقدمتها الليطانى والزهرانى.. وقد بدأت اسرائيل فى مد الانابيب واستغلال مياه لبنان..

ومن أسباب تمسك اسرائيل بالجولان هو ثراؤها بمصادر المياه وأهمها نهر الاردن وبحيرة طبريه ونهر بانياس ونهر اليرموك ونهر الزاكية ونهر المسعدية بالاضافة الى ينابيع وعيون كثيرة موزعة فى كل وديان الجولان وقراه.ويصف الاسرائيليون الجولان بأنها برج مياه اسرائيل، فالهضبة تحتوى على مصادر مياه رئيسية فى المنطقة ومن يسيطر على مرتفعات الجولان يستطيع منع أى جهة من محاولة تحويل مصادر المياه. كذلك يتضح ان الضفة الغربية ومياهها الجوفية اصبحت مصدر٣٥ ٪ من احتياجات اسرائيل المائية.

ان التوسع الصهيونى مستمر وتهجير اليهود مستمر.. والمطلوب منا ان نأخذ اللقمة من افواه اطفالنا.. ونعطيها لهؤلاء المهجرين اليهود!! وكأن لسان حال بوش وشامير.. يقول: بامكان اسرائيل ان تنسحب من بعض الاراضى المحتلة فى لبنان وسوريا والضفة.. بشرط ان تظل تحصل على كل احتياجاتها من المياه.. كما فعلت بالنسبة لبترول سيناء!!بل هذا لا يكفيها وهى تبحث عن المياه من مصر وتركيا!!

وقد اتضح حجم المشكلة التى تواجه اسرائيل فى مجال المياه خلال المؤتمر العلمى الذى عقده مركز الدراسات اللبنانية فى اكسفورد بلندن فى أكتوبر عام ١٩٩١ وجاء فيه:

* ان اسرائيل تأخذ ثلث حاجتها من المياه من الضفة الغربية، والثلث الثانى من مياه بحيرة طبرية التى تغذيها أنهار بانياس والدان والحاصبانى النابعة فى سوريا ولبنان، أما الثلث الأخير فموجود داخل اسرائيل نفسها (أى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨). وتستغل اسرائيل ٨٣٪ من المياه الموجودة فى الضفة الغربية لتأمين حاجات المستوطنين اليهود هناك، وتضخ مياه الضفة أيضاً الى اسرائيل بينما لا يذهب من مياه الضفة لاستعمالات السكان العرب الأصليين سوى ١٧٪ فقط! مع العلم أن عدد المستوطنين فى الضفة هو نحو ١٠٠ ألف يهودى فى مقابل أكثر من مليون وسبعمائة ألف عربى.

* ويؤكد بعض ضباط قوات الأمم المتحدة فى جنوب لبنان أن اسرائيل تضخ مياه الليطانى عبر أنابيب إلى شمال اسرائيل.

* كما تأكد أن اسرائيل تسحب خزين المياه الجوفية الغنية لنهرى الحاصبانى والدان بواسطة مضخات وأنابيب أحاطتها بأسوار على جزء من نهر الحاصبانى فى جنوب لبنان.

* وكانت اسرائيل قد أعلنت فى ١١ مايو ١٩٩١ أنها لن تنسحب من لبنان من دون تعهدات بالحصول على «حصتها» من مياه نهر الليطانى. رغم أن نهر الليطانى موجود بأكمله داخل حدود لبنان!!

* وكانت اسرائيل لدى اقتحامها للعاصمة بيروت عام ١٩٨٢ قد استولت على بيانات واحصاءات هيدرولوجية (خاصة بالمياه)، وتقوم الآن بمنع المزارعين اللبنانيين فى منطقة «الحزام الأمنى» من سحب مياه الآبار، وتغلق

أبارا أخـرى تماماً كما تفعل فى الضفـة الغربيـة (المستقبل العربـى – العدد ١٥٤).

وتقول تقاريـر الامم المتحدة ان المياه ليست فائضـة عند أى طرف، وان لبنان سيكتفى بالكاد من مياهه العـذبة عام ٢٠٠٠ .. وكذلك الحال بالنسبة للجميع.. بما فى ذلـك مصر.. ولكن يبدو ان اسرائيل تـريد ان تكفى حـاجتها أولاً.. وتستكمل مشروعهـا الاستيطانى.. أولاً.. ثم تترك لنـا البقية.. وبهذه الـرؤية وعلى هـذا المنـوال يمكـن تصور فى أى اتجاه ستسير المفـاوضـات المتعـددة الأطراف.. التـى يقـال أنها أساس السـلام.. فـالهدف الامريكـى الاسرائيلى هو إقامة سوق مشتركة للشرق الاوسط من الناحية الاقتصادية.. تكون اسرائيل هى القوة المهيمنة عليه بالتعاون مع السيد الاكبر الأمريكى.

وان هذا سيحدث فى حالة «نجاح» مؤتمر مدريد.. وأى «نجاح»؟!!

ولأن الولايات المتحدة هى الرّاعى الحقيقـى والوحيد للمؤتمر.. فهى التى وضعت له معيار النجاح من الآن.. كما ورد فى خطاب بوش..

(السلام الحقيقـى.. معاهـدات.. أمن.. عـلاقات دبلـوماسيـة.. علاقـات اقتصادية، تجارة استثمارات، تبادل ثقافى، سياحة). ويضيف بوش ان:

التقدم فى القضـايا المتعددة الجوانب (كـالمياه) يمكن ان يساعـد فى انشاء مناخ لحل النزاعات الثنائية (الانسحاب مـن الاراضى) وكل ذلك بالإضافة الى ماجاء فى التطمين الامريكى لاسرائيل: (ضمان التفوق النوعى لاسرائيل).

****

ونرجو ان يكـون العرض السابق قـد أوضح المساحة.. التـى يدور فيها الحوار او النزاع العائلى بين اسرائيل وامريكا. واذا كانت امريكا هى الراعية الوحيـدة الحقيقية للمؤتمر فلتبشر اسرائيـل بطول سـلامة!!.. فانـه لم يعد هناك حـاجة للبرهنة على مدى عـداء امريكا وحقدهـا على أى تقدم يجرى فى بلاد العـرب والمسلمين.... ويكفى موقفهـا من ايـران.. ثم القوة العسكـرية العراقيـة.. ثم ليبيا... ومصر فى البـداية.. وفى النهايـة.. والمحرومة مـن حق امتلاك مفاعل نووى للاغراض السلمية (الكهرباء).. والمحرومة من امتلاك أى اسبـاب للقـوة الاقتصاديـة والعسكـريـة تجعلها مستقلـة عـن الارادة الامريكية.

## خط الجهاد.. وخط الاستسلام

يشيع الانهزاميون منذ مبادرة السادات حتى الآن.. تساؤلا يريدون منه أن يبدو خط الاستسلام منطقياً.. وهو «وما البديل؟!»

وبالفعل ياله من سؤال محرج.. وصعب.. فلا يوجد بديل فورى كالعلاج السحرى بطبيعة الحال.. بل ان خط الاستسلام نفسه استغرق وقتاً ليس بالقليل.

فبعد ان يضعف الحكام العرب أوضاع بلادهم.. يقولون وما البديل للاستسلام للولايات المتحدة واسرائيل؟!

ان اسرائيل لم توجد لتبقى.. وان وعد القرآن صريح فى هزيمة بنى اسرائيل على أيدى العباد المؤمنين.

ونحن نرفض الاعتداء على القرآن الكريم.. ونحن نؤمن بما جاء فى كتاب الله فى حق اليهود (واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب).

وحديث القرآن عن الذلة والمسكنة التى ضربت على بنى اسرائيل.. واضح ومتكرر وان علو بنى اسرائيل يكون فساداً فى الأرض يعقبه هزيمة نكراء على أيدى العباد المؤمنين كما حدث فى المرة الأولى (بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار). وسيتكرر بإذن الله فى المرّة الثانية.

وفلسطين جزء من الأمة الاسلامية، ونزول الكفار بها واحتلالها.. يجعل الجهاد فرض عين على كل المسلمين.. وهذا ما أجمع عليه العلماء والفقهاء. وتتضاعف المسئولية عندما تكون فلسطين هى الأرض المباركة.. بلفظ القرآن.. تحتوى رفات الانبياء والمسجد الأقصى.

والمفاوضات اذا جرت مع أعداء محتلين لا يمكن ان تكون إلا هدنة مؤقتة.. تتطلبها ظروف الإعداد والاستعداد.. وليس تحت شعار السلام الدائم المزعوم.

ان خط الجهاد (فى مقابل خط الاستسلام) لا يعنى ضرب النيران وفتحها بصورة مستمرة على العدو. الجهاد يشتمل ليس على القتال المباشر فحسب، وانما أيضا على جهاد النفس واعداد كل عناصر القوة، واعتماد الأمة الاسلامية على نفسها فى بناء أسباب هذه القوة التى تقوم على استقلال

سياسى واقتصادى حقيقى وليس من خلال تبعية مكشوفة لأعداء الأمة الذين يملون علينا مختلف سياساتنا الداخلية من خلال ما يسمى صندوق النقد الدولى.

الجهاد.. عمل شاق ومتواصل فى مختلف المجالات لاعلاء كلمة الله.. وان عدم القدرة على تحرير الأرض المحتلة.. فى المدى المنظور.. لا يعنى ضرورة الارتماء فى أحضان الأعداء.. وان الحفاظ على السيادة فى اطار نهضة حضارية وحدوية عربية واسلامية.. هو الكفيل بتحقيق الانتصار فى النهاية..

اما خط الاستسلام فهو قمين بدفعنا الى الاستسلام أمام كافة مشكلاتنا الداخلية.. وليس أمام اسرائيل فحسب.. وهذا ماحدث بالفعل.. حيث تتفاقم كل يوم مشكلات مصر الداخلية على مختلف الأصعدة.. رغم انتهاء الحرب – التى علقوا على شماعتها كل النواقص – منذ تسعة عشر عاما.

ان الموقف الاسلامى الشرعى من الوجود الصهيونى لا يحتاج منا لكثير جهد للبرهنة عليه فى ظل اجماع فتاوى علماء المسلمين.. والمنشورة فى مطبوعات عديدة ومتداولة فى أيدى من يرغب فى الاطلاع عليها.

ولكن تجدر الاشارة الى ان لجنة الفتوى بالازهر اجتمعت بعد زيارة السادات للقدس فى ٢٦ نوفمبر ١٩٧٧ لتقول: (ان اللجنة تفيد ان الصلح مع اسرائيل كما يريده الداعون اليه لا يجوز شرعاً لما فيه من إضرار واقرار الغاصب على الاستمرار على غصبه والاعتراف بأحقية يده على اغتصابه وتمكين المعتدى من البقاء على عدوانه).

ومن الطريف أيضاً ان نشير الى كتاب د. محمد سيد طنطاوى (بنو اسرائيل فى القرآن والسنة) وهو المفتى الحالى.. وهذا الكتاب أفتى به الدكتور طنطاوى فاستفتى فيه قلبه وربه.. يقول مفتى الديار المصرية فى كتابه هذا:

(ثم انضمت الى بريطانيا دول الكفر وخصوصا امريكا التى بذلت جهوداً جبارة لانشاء دولة لليهود فى فلسطين) ويضيف د. طنطاوى..

كيف نعيد فلسطين اسلامية عربية؟! فنقول:

١ – يجب علينا أن نعلم أن حربا فاصلة ستقع بين المسلمين واليهود وأن النصر فيها سيكون للمسلمين، ماداموا معتصمين بدينهم، ومنفذين لتعاليم قرآنهم وعاملين بسنة نبيهم، فقد اخرج البخارى ومسلم عن عبد اللّه بن

عمر رضـــى اللّه عنهما أن رسول اللّه صلى اللّــه عليه وسلم قال: (تقــاتلون اليهود حتـــى يختبىء أحـدهم وراء الحجـر فيقول: يـاعبد اللّــه هذا يهودى ورائى فاقتله).

وفى حديث آخـر للشيخين عن أبى هريـرة رضى اللّه عنه أن رســول اللّه صلى اللّه عليـه وسلم قال: (لا تقـوم الساعة حتـى يقاتل المسلمـون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهـودى من وراء الحجر أو الشجر فيقول الحجر أو الشجـر: يامسلم يـاعبد الله هـذا يهودى خلفى فتعال فـاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود).

فهـذان الحديثـان الصحيحان فيهما إخبـار للمسلمين بـأن قتـالا عظيما سيقع بين المسلمين واليهود قبل قيام الساعة وأن النصر سيكون للمسلمين، متى استجابـوا للأوامر التى أمرهـم اللّه بها وأن اللّه تعالى سيكـرمهم بأن يخبر الحجر أو الشجر المسلم بأن يهوديا وراءهما فعليه أن يقتله.

٢ – يجب علينا أن نـوقن بـأن الأيام دول وأن مـا أصابنـا بفلسطين من الممكن تداركه، متى تحلينا بالإيمان الصادق وبالعزم القوى وبالتصميم على استعادة ارضنا المقدسة، وباتخاذ الوسائل الكفيلة بذلك.

لقد سقطـت بلادنا المقدســة فى أيدى المعتديـن أكثر من مرة ثـم استطعنا بفضل اللّــه ومعونته أن نستردها منهـم، بل إن عشرات الأمم كانـت رازحة تحت سلطان الاستعمار عقب انتهـاء الحرب العالمية الأخيرة ثم استطـاعت بعد ذلك أن تنال حريتها وكرامتها.

إن نكبة فلسطين قـد نبهت المسلمين الى الأخطـار المحيطة بهم، وعلمتهـم دروسا كانوا غافلين عنها وأطلعتهم على ما أضمرت لهم الصهيونية العالمية ودول الكفر من أحقاد وشرور. ودفعتهم إلى العمل المثمـر من أجل المحافظة على كيـانهم وكرامـاتهم بعد أن ظلـوا سنين طـويلة يعيشـون عيشة الـذل والهوان.

٣ – يجب على الأمة الإســلامية والعـربية، أن توحـد قيادة المعـركة وأن تسلمها لأيد أمينــة مخلصة، وأن تحوطها بالتأييد إذا أحسنـت واستقامت، وبـالتوجيــه والإصلاح والتقـويـم إذا أخطأت وضلـت، وأن تنأى بها عـن الخلافات والمنازعات التى قد تحدث بين الزعماء والملوك والرؤساء. أريد أن أقول: إن إنقــاذ فلسطين من السرطان الصهيونـى، يحتاج إلى جيش مـوحد

القيادة محدد الهدف معدا إعدادا كاملا قويا من جميع النواحى، مؤمنا بقدسية المعركة التى يخوضها، بعيدا عن التأثر بخلافات السياسيين الذين بيدهم مقاليد الحكم فى البلاد العربية..

وإن لنا فيما حدث فى معركة اليرموك وغيرها من المعارك الإسلامية لعبرا وعظات، ففى هذه المعركة وجد خالد بن الوليد - رضى اللّه عنه - قوادها يقاتلون الروم متساندين كل أمير على جيش، فجمع خالد هؤلاء القواد وقال لهم:

(إن هذا اليوم من أيام اللّه لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى فأخلصوا للّه جهادكم، وتوجهوا إلى اللّه تعالى بعملكم، فإن هذا يوم له مابعده فلا تقاتلوا قوما على نظم وتعبئة وأنتم على تساند وانتشار، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغى.

قالوا فما الرأى؟ قال: إن الذى أنتم عليه أشد على المسلمين مما غشيهم، وأنفع للمشركين من أموالهم، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم، فهلموا فلنتعاود الإمارة فليكن علينا بعضنا اليوم وبعضنا غدا والآخر بعد غد، حتى يتأمر كلكم ودعونى اليوم عليكم فقالوا: نعم فأمروه وهم يرون أنها كخرجاتهم - أى كغزواتهم الأولى - فكان الفتح على يد خالد يومئذ).

٤ - يجب أن تبذل الأمة العربية والإسلامية قصارى جهدها فى التذكير بقضية فلسطين وأن تقوم وسائل الإعلام المختلفة فى كل دولة بالدعاية الواسعة لها، وأن يدرس تاريخها فى المدارس والمعاهد والجامعات وأن توزع خريطتها وصور أماكنها المقدسة فى كل مكان، وبذلك تبقى نكبة فلسطين حية فى القلوب والمشاعر..

إن هذا الجيل الذى عاصر مأساة فلسطين سوف ينقرض وستأتى بعده أجيال أخرى إذا لم نذكرها بهذه المأساة ونربطها بقلوبهم دينيا وسياسيا وثقافيا واقتصاديا فإنها ستصبح نسيا منسيا، ولن يمر وقت طويل حتى تختفى مأساة فلسطين من قلوبهم كما اختفت مأساة الأندلس بمرور الأيام وتعاقب السنين.

إن فلسطين هى من بلاد المسلمين المقدسة، ففيها المسجد الأقصى الذى كان الإسراء إليه، والذى هو أولى القبلتين، والذى هو أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال إلا إليها، ففى الحديث الشريف (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى).

وفى فلسطين كثير من المعابد والمقدسات، ففيها قبور بعض الأنبياء كإبراهيم وموسى وداود - عليهم الصلاة والسلام - وفيها قبور عدد كبير من الصحابة كأبى عبيدة بن الجراح وعبادة بن الصامت، والفضل بن العباس وشداد بن أوس وغيرهم من الصحابة والتابعين. ولاشك أن بقعة من أرض المسلمين فيها كل هذه المقدسات جديرة بأن تكرر مأساتها على الأسماع فى كل زمان ومكان.

٥ - يجب أن تقف الأمة العربية والإسلامية من الدول التى ناصرت الصهيونية موقفاً قوياً حاسماً، وأن تستعمل أسلحتها المتنوعة فى صرف هذه الدول عن مناصرتها الباطلة لليهود، ومن أقوى الأسلحة سلاح البترول الذى يوجد فى بلادنا بكميات هائلة والذى لو أحسنا استغلاله واستعماله، لكفّت دول الكفر عن تأييدها للصهيونية الباغية، ولن يأتى هذا السلاح وغيره بالثمار المرجوة منه إلا إذا وحد العرب كلمتهم ووقفوا صفا واحدا أمام مؤامرات الاستعمار واليهودية العالمية.

٦ - يجب أن تعمل الدول العربية والإسلامية على تقوية الفدائيين الفلسطينيين من كل النواحى، وأن تختارهم من العناصر المأمونة والمؤمنة بربها وبدينها وبوطنها.. وأن تعطيهم من الإمكانيات ما يجعلهم يستطيعون أن يزلزلوا كيان الصهيونيين، عن طريق (حرب العصابات) لأن هذه الحرب من شأنها أن تهدد أمن إسرائيل واستقرارها واقتصادها وجميع مرافقها.

وتكون هذه الحرب كمقدمة للمعركة الفاصلة التى يجب على الأمة الإسلامية أن تخوضها ضد إسرائيل حتى تطهر الأرض المقدسة من اليهود.

ولقد اتبعت عدة دول طريقة (حرب العصابات) ضد المستعمرين فانتصرت عليهم فى النهاية، واستطاعت أن تنال حريتها رغم أنوفهم، وخير مثال لذلك (الجزائر) دولة المليون شهيد، فإنها قامت بهذه الحرب ضد فرنسا حتى أجبرتها على الرحيل عن بلادها.

٧ - يجب أن نخوض معركة فلسطين المقبلة على أساس من الجهاد الدينى، وليس على أساس النعرة الوطنية وحدها، وذلك لأن فلسطين بلد إسلامى مقدس كما قلنا سابقاً، وهى ملك لجميع المسلمين، وواجب الذود عنها فرض على كل مسلم على وجه الأرض.

واليهود قد استغلوا الناحية الدينية على أوسع نطاق لخدمة باطلهم فى

فلسطين بحيث أفهموا دول الغرب – وخصوصاً إنجلترا – أن فلسطين هى أرض ميعادهم، وأن أرضها لهم وحدهم بنص التوراة.. بينما العرب المسلمون أسقطوا هذا الجانب الدينى الهام من حسابهم.. فخاضوا معركة فلسطين باسم النعرات الوطنية والقومية، وسخر بعض كتابهم بالنواحى الدينية.. فكان مصيرهم الفشل.

ونحن لا ننكر أثر القومية المادية فى النجاح، ولكن الذى ننكره أشد الإنكار هو الاعتماد عليها وحدها دون أن يقام للجانب الروحى أو الخلقى أى حساب.

إن الذين لا يهتمون بالناحية الدينية والخلقية، لن تكون العاقبة لهم ولو ملكوا أقوى قوة فى الإرض، ولقد اعترف (الميثاق) بأهمية الطاقات الروحية والدينية ومما جاء فيه بهذا الشأن:

(على أنه يتعين علينا دائماً أن نذكر أن الطاقات الروحية التى تستمدها الشعوب من مثلها العليا النابعة من أديانها السماوية أو من تراثها الحضارى، قادرة على صنع المعجزات. إن الطاقات الروحية للشعوب تستطيع أن تمنح آمالها الكبرى أعظم القوى الدافعة. كما أنها تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة تواجه بهما جميع الاحتمالات وتقهر بهما مختلف المصاعب والعقبات، وإذا كانت الأسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة، فإن الحوافز الروحية والمعنوية هى وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا، وأشرف الغايات أو المقاصد).

٨ – يجب على الأمة العربية والإسلامية (قبل ذلك وبعد ذلك)، إذا أرادت أن تعيد فلسطين، أن تعود هى إلى تعاليم الإسلام فتطبقها على نفسها تطبيقاً كاملا وأن تحارب الرذائل فيها، وأن تقيم حياتها وسلوكها ونظمها ومعاملتها على وفق تعاليم الدين الحنيف، وأن تعد العدة الكاملة لقتال عدو الله وعدوها، إذا فعلت ذلك فإن النصر سيكون حليفها، والآيات الكريمة التى تشهد بذلك أكثر من أن تحصى، منها قوله تعالى: (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم).

ومنها قوله تعالى: (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز).

ومنها قوله تعالى: (إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد).

ومن وصايا سيدنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لأمته فى شخص ابن عباس رضى اللّـه عنهما – قولـه: (احفـظ اللّه يحفظـك، احفظ اللّـه تجده تجاهك...).

وقد وصى عمر بن الخطاب – رضى اللّه عنه – سعد بن أبى وقاص فقال له:

أما بعد: فإنـى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى اللـهّ على كل حال، فإن تقوى اللّـه أفضل العدة على العـدو، وأقوى المكيدة فى الحرب، وآمـرك ومن معك أن تكـونوا أشد احتراساً مـن المعاصى منكـم من عدوكم، فـإن ذنوب الجيش أخـوف عليهم من عدوهـم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عـدوهم للّه، ولـولا ذلك لم تكـن لنا بهم قوة، لأن عـددنا ليس كعـددهم، ولا عـدتنا كعدتهم، فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة.

واعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من اللّـه يعلمون ماتفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصى اللّه وانتم فى سبيـل اللّه، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينـا وإن أسأنا، فرب قوم سلط عليهـم شر منهم كما سلط على بنى إسرائيـل لما عملوا بمسـاخط اللّـه كفرة المجـوس (فجاسـوا خلال الديار وكـان وعدا مفعولا) واسألـوا اللّه العون على أنفسكم كما تسـألونه النصر على عدوكم، أسأل اللّه ذلك لنا ولكم..).

انتهى كلام د. الطنطاوى

## المهادنة والموالاة

هناك فرق جوهرى بين المهادنة المشروعة.. بين الأمة الاسلامية وأعدائها.. وبين موالاة الأعداء.. وحكامنا سقطوا فى الثانية.. لان المهادنة تعنى الهدنة.. واستمرار اعداد القوة.. أما الموالاة فهى التحالف والصداقة.. مع أعداء الدين وهذا محرم بنصوص القرآن..

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق)

الممتحنة (الآية ١).

(انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون).

(الممتحنة الآية ٩)

(ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون)

(المائدة من الآية ٨٠ الى الآية ٨١)

وهكذا تترى عشرات الآيات على نحو ما فصلناه فى دراسة «أزمة الخليج بين أحكام القرآن وفتاوى السلطان».

ودراسة السيرة النبوية توضح ان الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن يجاهد بالسيف طوال الوقت، بل كثيرا ما امتنع عن استخدام القوة.. عن ضعف أو عن تريث أو اعداد واستعداد حسب مراحل الدعوة.. ولكن الفرق جوهرى بين المهادنة.. وبين التحالف والموالاة.. التى تخرج الدعوة عن هدفها الأصلى.. وليصبح مجرد وجود المسلمين أحياء على ظهر الأرض فى الحياة الدنيا.. هو الهدف.. وهم بذلك يخرجون عن روح رسالة الاسلام.. ويتكالبون على الدنيا..

وهذا هو «السلام» الزائف الذى يروجون له منذ اتفاقيات كامب ديفيد.. تحت شعار الصداقة الأبدية مع أعداء الله.. اليهود والأمريكان.. والذى لم يؤد حقيقة إلا إلى ان نخسر الدنيا والدين معاً!! فلا نحن أصبحنا ذوى شأن فى الدنيا.. رغم اننا بعنا آخرتنا بدنيانا ولا نحن ضمّنا الآخرة. وبالفعل فأولئك هم الأخسرون أعمالاً.

ان امريكـا واسرائيل في حلف واحـد.. حرب على الاسـلام وعلى الشريعة الاسلاميـة.. هم فى حـرب متواصلة ضـد القرآن.. فكيـف تكون الصـداقة الأبدية معهم بدون التفريط فى عقيدتنا؟!

هذا هـو جوهر الصراع.. أمـا الأراضـى فتروح.. وتجيىء حسـب أحوال القوة والضعـف العسكرية.. وأحسـب أننا سنظـل فى نزاع الى يوم الـدين.. فـالصراع بين عالم الإيمان وعـالم الكفر ممتـد الى يوم الـدين.. وهـو الخط الواحد الموصول الذى يجمع كل آيات القرآن الكريم..

ان كتـاب اللّه. ليـس كتاب تـاريخ.. كما يحاول أن يـروج المتخرصـون فأحكامـه باقية. ونوره.. يضيـىء الطريق.. لمن يريـد أن يبصر.. وان كل ما تشهـده أمتنا مـن تحديات ومصـاعـب واعتداءات.. الـآن.. يمكن أن تـرى وصفهـا فى القرآن العظيـم.. بل و الأهـم مـن ذلك.. تجد الأمـة فيه سبيـل الخلاص.. والخروج من مأزقها.

(أليس اللّه بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل اللّه فماله من هاد)

(الزمر الآية ٣٦)

**المهادنة:**

وقـد أشار فقهـاؤنا بما لهم مـن عقليـات سياسيـة لهذه الاحتمالات أى احتمالات المهـادنة ووصفـوها بـدقة.. وعـزلوهـا.. وميزوهـا عن حـالات الموالاة.. والارتماء فى أحضان الأعداء..

ويقـول الشـافعـى فى هذا المجـال: ان قتال المشركين فـرض على المسلمين ولكـن لا يكلف اللّـه نفسا الا وسعهـا.. لهذا فـرض اللّه على المسلمين قتـال المشركين وان يهادنوهم، وقد كف رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عن قتال كثير من أهل الأوثان بلامهادنة (أى بدون هـدنة متفق عليها) مثل بنى تميم وربيعة وأسد وطىء، وهادن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ناساً، ووادع حين قدم المدينة يهوداً. وقتال المشركين فرض اذا قـوى عليهم وتركه واسع اذا كان بالمسلمين عنهـم أو عن بعضهم ضعف أو فى تـركهم للمسلمين نظر للمهادنة وغير المهـادنة. واذا ضعف المسلمون عن قتـال المشركين أو طائفة منهم لبعُد دارهم أو كثرة عددهم أو خلـة بالمسلمين أو بمن يليهم منهم جاز لهم الكف عنهم ومهادنتهم.

ويتابع الأمام الشافعى رحمه اللّه تعالى يقول عن صلح الحديبية.:

«فهادنهم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الى مدة ولم يهادنهم الى الأبد لأن قتالهم حتى يسلموا فرض اذا قوى عليهم وكانت الهدنة بينه وبينهم عشر سنين». وبعد الاشارة الى فوائد هذا الصلح من زاوية دخول الناس فى دين الله أفواجاً.. يضيف :

«أحب للامام اذا نزلت بالمسلمين نازلة – وأرجو ان لا ينزلها اللّه عز وجل بهم ان شاء اللّه تعالى – مهادنة يكون النظر لهم فيها، (أى مراعاة المصلحة) ولا يهادن إلا الى مدة، ولا يجاوز بالمدة مدة أهل الحديبية (١٠ سنوات) كانت النازلة ماكانت فان كانت بالمسلمين قوة قاتلوا المشركين بعد انقضاء المدة فإن لم يقو الامام فلا بأس ان يجدد مدة مثلها أو دونها ولا يجاوزها من قبَل ان القوة للمسلمين والضعف لعدوهم قد يحدث فى أقل منها وان هادنَهم الى اكثر منها فمنتقضة لأن أصل الفرض قتال المشركين حتى يؤمنوا او يعطوا الجزية، فان اللّه عز وجل أذن بالهدنة فقال إلا الذين عاهدتم من المشركين وقال تبارك وتعالى الا الذين عاهدتم.

«وليس للامام ان يهادن القوم من المشركين على النظر (أى بمراعاة المصلحة) الى غير مدة هدنة مطلقة فان الهدنة المطلقة على الأبد لا تجوز، ولكن يهادنهم على ان الخيار اليه حتى ان شاء ان ينبذ اليهم فان رأى نظراً للمسلمين ان ينبذ فعل. (وأصل ذلك) ان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم افتتح خيبر عنوة إلا أهل حصن واحد فقد افتتحه بالصلح فصالحوه على أن يقرهم ما أقرهم اللّه عز وجل ويعملون له وللمسلمين بالشطر من الثمر. وان قيل هل فى هذا نظر للمسلمين قيل نعم كانت خيبر وسط مشركين وكانت يهود أهلها محالفين للمشركين وأقوياء على منعها منهم ولم يكن بالمسلمين كثرة فينزلها منهم من يمنعها.. فلما كثر المسلمون أمر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم باجلاء اليهود عن الحجاز فثبت ذلك عند عمر فأجلاهم، فاذا أراد الأمام أن يهادنهم الى غير مدة هادنهم على أنه اذا بدا له نقض الهدنة فذلك إليه وعليه أن يلحقهم بمأمنهم».

تعمدنا الاطالة من اقتباس كلام الأمام الشافعى رحمه اللّه تعالى.. للاشارة الى عظمة فقهنا.. واهتمامه بالأمور السياسية.. ولمعالجته لاحتمالات الصراع بين الاسلام وأعدائه بين لحظات القوة والضعف.. ولا

شك ان الامـام الشـافعى لم يكن يـدور بخلده ان يصل حـال المسلمين الى ما وصل إليه.. ولا شـك ان الفقه المعاصر مطالـب بان يعالج مشكـلات العالم الاسلامى السياسية.. وبالاخـص فيما يتعلق بالصراع مع الأعداء. ولكننى أردت أن أشير الى ان ما يـواجهنا ليـس من قبيـل الأمور التـى يعجز عنهـا التفسير الفقهى الذى يلتزم بأحكام القرآن..

فالمهادنـة مشروعة بالقرآن والسنـة.. وهى مؤقتة.. وتتطلـب ان يتحول المسلمون خلالها من حـالة الضعف الى حالة القوة.. (مـع مراعاة ان الأمور نسبية فى كل الاحوال)

ولذلك فى كتـاب الله الذى أحكمت أيـاته.. جاءت أية (وان جنحـوا للسلم فـاجنح لها وتـوكل على اللـه انه هـو السميع العليـم )(الانفال ٦١) جـاءت مباشرة عقـب أية (وأعدوا لهم ما استطعتـم من قوة ومن ربـاط الخيل.. الى أخر الأية.. ولكن كثيراً ما يتلاعب وعـاظ السلاطين فيقولون الأية ٦١ دون ربطها بالأية رقم ٦٠ من سورة الانفال!!

وان المهادنـة أو الهدنة أو العهـد.. أبعد مـا تكون عـن حالات التطبيـع.. والصداقة.. والتعاون.. والاحلاف الاستراتيجية.. والاسواق المشتركة.. مع اسرائيل.. بل وأكثـر من ذلك تسليم الامـريكان مفاتيح البـلاد الاسلامية.. بدءاً مـن البترول.. الى الجيوش.. الى الاقتصـاد... الى القرار السيـاسى بـل واخيرا.. مناهج التعليم نفسها!!

فهذه هى الموالاة التى نهى عنها الله سبحانه وتعالى.. ومن يريد ان يخلط بين الحالتين.. فأولئك هم المنافقون. لان الفارق بينهما واضح كفلق الصبح.

بالتأكيد فـإن أغلب حكام الدول الإسلامية جعلوا المهمـة أكثر صعوبة.. بتخليهم عن مشروع بناء قوة الأمة، وان الفجوة بيننا وبين الأعداء تزيد كل يوم بسببهـم.. وان استعادة الأمة الاسـلامية لـزمام المبادرة.. على طـريق تعديل موازين القوى المختلة حاليـاً ضدها.. لابد ان يمر بتغيير معظم هؤلاء الحكام.. واقامة نظم جديدة جديرة بالانتساب للاسلام.. وللقرآن..

وهذا يتطلب أوّل ما يتطلب رفض ما يروجه هؤلاء الحكام.. حول حتمية وواقعية الاستسلام.. باعتباره الخيار الوحيد المطروح على الأمة.. وماهو فى الحقيقة إلا الخيار المطروح أمامهم لاستمرار التثبت بمواقع الحكم.

ان خيار المقـاومة.. والجهاد.. هو الخيـار الاسلامى. وهو الخيـار الذى

يحقق للأمة صلاح الدنيا والآخرة..
«والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون»

«صدق الله العظيم»

القاهرة
٢٥ جماد أول ١٤١٢ - ٢/١٢/١٩٩١

# المراجـــــع

**ملاحظة عامة:**

تم الرجوع فى كل ما يتعلق بمباحثات كامب ديفيد الى المذكرات المنشورة لمختلف الأطراف المشاركة فيها.. وهى كلها يؤكد بعضها بعضاً.. فلا يوجد أى خلاف يذكر على الوقائع. ولم يتبق اذن سوى القراءة والتفسير.. ونخص بالذكر من هذه المذكرات:


١ – السلام الضائع فى كامب ديفيد – محمد ابراهيم كامل وزير الخارجية الاسبق.

٢ – حدث فى كامب ديفيد.. لثلاثة صحفيين اسرائيليين
ايتان هابر – زيف شيف – ايهود يعارى

وقد ضم الكتاب الذى ترجمه ابراهيم منصور.. مقارنة بين هذه الرواية الصحفية ومذكرات اسماعيل فهى – ابراهيم كامل – كوانت – بريز نسكى – دايان، وايزمان، فانس، – كتاب الأهالى رقم ١٠

٣ – محاربون ومفاوضون – كمال حسن على – مركز الاهرام للترجمة والنشر.

٤ – أسرار المعاهدة المصرية – الاسرائيلية – محمود فوزى – نجدى للنشر والتوزيع


**ومراجع عامة اخرى:**


٥ – الأم – الأمام الشافعى – كتاب الشعب

٦ – بنو اسرائيل فى القرآن والسنة. د. محمد سيد طنطاوى – دار الزهراء.

٧ – زوال اسرائيل حتمية قرآنية – أسعد التميمى – أنصار الثورة الاسلامية.

٨ – الشرق الاوسط بعد ١٠ سنوات كامب ديفيد – وليام كوانت ومجموعة من الباحثين مركز الاهرام للترجمة والنشر

٩ – بالسيف (امريكا واسرائيل فى الشرق الأوسط) (١٩٦٨ – ١٩٨٦) ستيفن جرين – شركة المطبوعات للتوزيع والنشر – لبنان

١٠ – سقوط الجولان – خليل مصطفى – دار اليقين – عمان

١١ – ملف المؤتمر الدولى للسلام – دار المعارف
١٢ – ملف وثائقى عن التحرك السياسى الدولى لحل مشكلة الشرق الاوسط – الهيئة الهامة للاستعلامات
١٣ – مصر فى المشروع الاسرائيلى للسلام – محمد حسن – دار الكلمة – بيروت
١٤ – الملف – مجلة تعنى بالشئون الاسرائيلية – قبرص.
١٥ – اللوبى (اليهود وسياسة امريكا الخارجية ) ادوارد تيفنن – شركة المطبوعات للتوزيع والنشر / بيروت

# الفهرس

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |

رقم الإيداع / ١٩٩١/١٠٠٩٧

I.S.B.N
977 - 5087 - 09 - 0




# هذا الكتاب

حول مؤتمر مدريد، وما تبعه من مفاوضات عربية – اسرائيلية فى واشنطن.. تدور موضوعات هذا الكتاب.. والذى يتناول التساؤلات المطروحة بإلحاح فى الساحة السياسية العربية:

هل يحصل العرب على حقوقهم من خلال المفاوضات الحالية؟ وهل الظروف المحيطة بهذه المفاوضات مواتية وإيجابية؟ وبمعنى أصح هل النظام الدولى الجديد بقيادة الولايات المتحدة هو نظام العدالة الدولية؟

وهل تلتزم أمريكا بشرعية القرارات الدولية الخاصة بالقضية الفلسطينية.. كما التزمت خلال أزمة الخليج؟ وهل تمثل اتفاقيات كامب ديفيد مثلاً يحتذى ونموذجاً مرتجى؟!

وما هى حقيقة الخلافات بين أمريكا واسرائيل فى هذه المفاوضات؟

حول كل هذه الأسئلة وغيرها من القضايا المتفرعة عنها.. تدور موضوعات هذا الكتاب.

دار الشرق الأوسط للنشر
١٥٣ شارع الطيران ـ مدينة نصر ـ القاهرة
تليفون ٢٦٠٥٧٠٧